الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة-

كلية العلوم الانسانية والعلوم الإجتماعية

قسم الفلسفة

العنوان :

إرادة القوة و أثرها في بناء الأخلاق عند نيتشه

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:

مويسات رحيمة

إشراف الأستاذة:

مجكدود ربيعة

السنة الجامعية: 2017/2016

إلى الأهداء

أهدي ثمرة جهدي العلمية إلى الوالدين الكريمين ، وهما الآخر الذي صنع به وجودي ونجاحي وأصل أناي وكينونتي جميلة ولعموري ،أطال الله في أعمارهما ،والى الورود التي زادني عطرها تفلسفا وانتعاشا رزيقة وزوجها سمير، ونورة وزوجها عبد الباسط، وفطيمة وزوجها عصام وإكرام وأمينة .

وإلى فوانيس حياتي خليل وفيصل وزوجته سعيدة وأحمد ، وإلى براعم السعادة:

الكتكوتة : ريتاج قطر الندى ، وأميري الصغير :أحمد خليفة

إلى كل من ساهم معي في هذا العمل المتواضع .

شكر وعرفان

الشكر لأهل الشكر واجب، مع أن مقولة الشكر في العلم لا تعرف ،إلا أن أخلاقنا العلمية أبت إلا أن تكتب في أوراق من صيغوا عقولنا علما ،وجعلوا منها مثمرة معطاءة وأخرجوها من إلا مكان إلى حيز الفعل ،وانتشلوها غياهب الجهل لتستنير علما .

إلى الأستاذة المشرفة ربيعة مجكدود التي على يدها تعلمنا فعل التفلسف وما إشرافها إلا نقطة .

من بحر علمي سواء منهجيا أو معرفيا أو أخلاقيا فلها مني كل التقدير والشكر والامتنان

والشكر موصول إلى الأخ أحمد المعتز بالله –مكتبة بيروت– .

مقدمة

مقدمة

يعتبر زمن نيتشه زمنا مريضا ينخر جسد حضارته، لذا حاول أن يعريها من أقنعتها الزائفة ليكشف عن الفساد، والانحلال والعدمية التي تغلغلت فيه.

هذا العصر العدمي الذي خيم عليه ليل الميتافيزيقا، وغربت عنه شمس القيم الحقيقية التي تبحث عن الحياة والسعادة والصيرورة، وهذا ما دفع بنيتشه إلى بناء مشروع فلسفي قصد قطع درب الميتافيزيقا، وذلك للقضاء على الأخلاق السائدة وبالتالي رفض كل ما هو مطلق وكل ما يتجاهل الوجود الإنساني، لذا كان قوام مهمة نيتشه هو القضاء بصورة فعالة وهو يهوي بمطرقته على جميع القيم الأخلاقية التقليدية التي لم تزد الإنسانية إلا انحطاطا تلو انحطاط إلى حد طمس معالم هويتها، وللكشف عن أعراض هذا المرض، استعان نيتشه بجملة من الوسائل والأدوات الفلسفية التي باستطاعتها التنقيب عن الأسباب الباعثة وراء الانحطاط، الذي تنوعت صوره والذي تشكل حاجزا أمام تطور الإنسان على وجه الخصوص، والحضارة بوجه عام القيم الدينية الأخلاقية السائدة في الفكر الفلسفي الغربي الحديث، فهي مجرد قيم تعبر عن الضعف، والعجز والوهن لهذا لابد من التخلص منها انطلاقا من نقد المبادئ الأساسية التي غالبا ما تستند عليها وتفكيك مضامينها، واستئصال أوهامها من الأصل وحتى الوصول إلى القوى الكامنة ورائها.

بناءًا على هذا يمثل نيتشه منعطفا نوعيا في تاريخ الفلسفة الحديثة من خلال بحثه الجنيالوجي الذي اعتمده للتنقيب عن أصل القيم الأخلاقية، ودراسة مسارها التاريخي انطلاقا من التسليم بمبدأ إرادة القوة وهي سلاح يشهره نيتشه في وجه القيم السائدة القائمة على أي أثر للوجود الإنساني، وهذا السلاح كان مقابل إرجاع الفعل الأخلاقي إلى أصله وإعادة الاعتبار للإنسان.

وللوقوف على فحو هذا لا بد من طرح الإشكالية الرئيسية التي يدور حولها بحثنا هذا على النحو التالي: كيف ساهمت إرادة القوة في بناء الأخلاق عند نيتشه؟ والإشكالية العامة تنطوي على جملة من المشكلات الفرعية تمثلت في:ما معنى إرادة القوة؟

وهل من المعقول أن يكون معيار سلطوي للقوة أساس لسن قيم أخلاقية نبيلة؟

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمنا هذا العمل إلى مقدمة، وثلاثة فصول رئيسية وخاتمة استخلصنا فيها جملة من النتائج.

مقدمة وفيها عرفنا بالموضوع وأبرزنا أهمية المشروع النيتشوي والغاية التي جاء من أجلها.

في الفصل الأول الذي يحمل عنوان "القراءة الجينالوجية القيمية للتراث الفلسفي الأخلاقي" والذي خصصنا فيه الأرضية المفاهمية للمنهاج الجنيالوجي وجينيالوجيا الأخلاق عند نيتشه ،تطرقنا فيه للعناصر التالية :الأخلاق عند اليونان وموقف نيتشه من قيم الديانة المسيحية وكذلك موقفه من المشروع الأخلاقي عند كانط وكذلك، الأخلاق بين السعادة والقوة، وبينا فيه البحث عن أصل ونسب القيمة الأخلاقية وكذلك درسنا مسارها التاريخي، وعرضنا فيه موقف نيتشه، وعداؤه ومقته لقيم الدين المسيحي، ورفضه الأساس الميتافيزيقي الكانطي للأخلاق وفرضه لمشروعه وإرادة القوة وسعيها لخلق السعادة.

أما الفصل الثاني الذي عنوانه "إرادة القوة والبديل الأخلاقي " وتطرقنا فيه إلى موت الإله وحلول العدمية التي تعد مؤشرات لقطع درب الميتافيزيقا، وفسح المجال للمشروع النيتشوي القائم على إرادة القوة، والذي اشرنا فيه إلى ميتافيزيقا إرادة القوة وتصورات نيتشه المتعددة لها، وكيف انه ناقض معلمه شوبنهاور القائل بإرادة الحياة بقوله الحياة إرادة قوة، باعتبارها أساس لقيم صرح أخلاقي جديد هدفه خلق الانسان الاعلى الأعلى الذي عرجنا فيه عن أهم الصفات التي ينفرد بها باعتبارها الغاية المنشودة ودليل على رد المكانة للإنسان وكونه خالقا للقيم.

أما الفصل الثالث و الأخير الذي يتمحور حول "قيمة الفكر النيتشوي وامتداداته" وخصصناه لتقيم الجينيالوجيا في تقويم الأخلاق، والوقوف على ابرز الانتقادات التي وجهت للفكر النيتشوي، واشرنا إلى البعد والتأثير النيتشوي في الفلسفة المعاصرة وبروز البعد الإنساني فيها.

و للوقوف عن فحوى هذا اعتمدنا المنهج التحليلي النقدي، وهنا تبرز أهمية الموضوع في فهم أسباب الانحطاط والضعف الذي خيم على الحضارة الغربية، ومعرفة قيمة وأهمية الدراسة الجنيالوجية للقيم الأخلاقية ومسارها التاريخي عبر العصور بالإضافة إلى الاطلاع على حقيقة الفكر النيتشوي ومدى تأثيره وامتداد في الفكر الفلسفي على العموم.

وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على لمسات المشروع النيتشوي في الكشف عن زيف القيم السائدة، واستئصال أسباب الانحطاط من جذورها، وإثرى هذا يعود الاعتبار للإنسان الذي

لب الفكر النيتشوي ويحظى بالمركزية عنده، أما عن الصعوبات التي واجهتها تتمثل أساسا في صعوبة فهم وتفسير اللغة النيتشوية ذات الطابع الرمزي كما أن اغلب مؤلفاته كانت عبارة عن شدرات وتعدد القراءات والتأويلات للفكر النيتشوي، مما تولد عنها صعوبة في الاختيار وتوظيف ما هو مناسب .

وفي الأخير نقول ونؤكد أن هذا العمل، مجرد محاولة متواضعة لا ندعي فيها الكمال بل حاولنا خلالها الوقوف على سمات الفكر النيتشوي، ومن ثم إدراك فحوى مشروعه الأخلاقي –إرادة القوة– وإسهامه في إعادة الاعتبار للإنسان.

الفصل الأول :

القراءة الجينيالوجية القيمية للتراث الفلسفي الأخلاقي

تمهيد:

المباحث :

- التعريف بالمنهاج الجينيالوجي
- جينيالوجيا الاخلاق عبد نيتشه
- الأخلاق النتشوية بين السعادة والقوة.

المبحث الأول: التعريف بالمنهاج الجنيالوجي.

أشتقت كلمة جنيالوجيا Génalogie من اللفظة اليونانية (Génas) والتي تشير إلى الأصل أما (logie) فهي كلمة مشتقة من (logos) والذي يعني العلم، ويقابلها في اللغة الألمانية مصطلح "Herknunft" والذي يعني المصدر أي السبب والانحدار من زمرة دم أو عرق تنخرط فيه طائفة من مستوى رفيع أو وضيع. [1]

ولما كان مشروع **نيتشه الفلسفي** هو إدخال مفهومي المعنى والقيمة، إلى الحقل الفلسفي فقد ربط الجنيالوجيا بالفيلولوجيا أي قام بربط القيمة بعملية التأويل، وكان هدفه من وراء ذلك هو الكشف عن معاني الألفاظ، والدلالات والمفاهيم والمعاني التي قد تخفيها المقولات الأخلاقية مستخدما في ذلك الجنيالوجيا كوسيلة للتنقيب والكشف عن حقيقة ومصدر القيم، وعليه فإن الجنيالوجيا عند **نيتشه** تمثل: البحث عن قيمة القيم، والتقويم الذي تنشأ منه قيمتها بالذات فهي (الجنيالوجيا) عنصر نقدي ومبدع في آن واحد، إنها تبحث عن أصل التقويمات ونسبها إلى عنصرها القيمي الأول. [2]

ونفهم من خلال هذه الفكرة، أن الجنيالوجيا هي طريقة ابتدئها **نيتشه** من أجل الكشف عن أصل القيم، والتقويمات السائدة وذلك من خلال العودة إلى أصولها ومصادرها الأولى، فهي تقوم على جانبين نقدي وبنائي.

ولعل الجانب النقدي الذي تقوم عليه الجنيالوجيا يتمثل في معارضة كل أشكال القيم المفارقة للوجود من قيم مطلقة ومثالية دينية، وميتافيزيقية، والتي تهدف كما يعتقد **نيتشه** إلى طمس حقيقة الوجود، والكائن معا هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن الجانب الإبداعي

---

[1]– جمال مفرج، نيتشه الفيلسوف الثائر، إفريقيا للشرق، المغرب، 2003، ص 29.

[2]– جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، تر، أسامة الحاج، ط 1، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص ص، 5- 6.

في الجنيالوجيا يتمثل في ضرورة إعادة تقويم التقويمات التقليدية والعمل على خلق قيم جديدة لا تتضمن معاني مفارقة للوجود [1] .

فالجنيالوجيا تقوم إذن على حركة النقد المزدوج إذ يقع على عاتقها إرجاع الظواهر الأخلاقية إلى منابعها الأولى، كما تقوم بتحديد قيمة تلك المصادر.

ويشير **غرانيه (J. Granier)** في مؤلفه نيتشه أن هذا الأخير تفطن لطريقة جديدة في البحث عن مصدرية القيم، ومشروعيتها من خلال مناهجه الجنيالوجي، إذ يقول " **لقد أدخل نيتشه، منهجا جديدا في فلسفة القيم مفاده الكشف والتنقيب عن مصدر القيم والمتمثل في طريقة العرض والبحث الجنيالوجيا، ويفهم من فكرة الجنيالوجيا أنها بحثا معمقا يهدف إلى التفكير حول أهمية التأويل المعياري – النسبي– والتقويمي للقيم السائدة وذلك يبدأ إنطلاقا من نقد أصول التقويمات السائدة لمرحلة تاريخية معينة** ".[2]

يبدو أن الجنيالوجيا كما ذهب إلى ذلك **غرانيه** هي طريقة استخدمها نيتشه من أجل البحث عن أصل التقويمات والمعايير والأحكام الأخلاقية، كما تسلط الضوء على جوهر التأويلات التي تظهر القيم كما هي على أرض الواقع لمرحلة تاريخية محددة، ولقد أشار **نيتشه** إلى هذه الطريقة ولكن بصيغة غير مباشرة في مؤلفه **جنيالوجيا الأخلاق**، إذ اعتبرها الشيء المقلق الذي تقشعر له الأبدان، والذي لم يكتب بعد من طرف الفلاسفة فقد إعتبرها عملية تهدف إلى قلب القيم الأخلاقية، وعليه كانت الجنيالوجيا بالنسبة إليه لحاجة ماسة لنقد القيم الأخلاقية وإن قيمة هذه القيم ينبغي أن تطرح قبل كل شيء على بساط البحث، ومن أجل ذلك من الضروري أن تعرف الشروط والأوساط التي ولدتها، والتي كانت بمثابة الرحم الذي حمل تلك القيم.[3]

---

[1]– جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، تر: أسامة الحاج، ط 1، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، 1993،، ص 7.

[2] – Jean Granier, Nietzshe, (Que sais– je? P.U.F), Paris, 1994, p 66.

[3]– Freidrich Nietzshe, la Génalogie de la Morale, 7édit, Henri Albert, GallimardParis, 1964, p 16.

ويشير نيتشه في مؤلفه هذا إلى الأسباب التي أدت به إلى إبتكار هذه الطريقة، حيث لاحظ أن تلك القيم الأخلاقية التي كان الغرب متشبثا بها في الفترة الحديثة، قيم تبعث على القلق والغثيان، قيم تعارض الوجود الإنساني، قيم زائفة تهدف إلى قمع الغرائز والقضاء على منابع الحياة، وهي قيم تمثل أخلاق الشفقة والزهد والتصوف، أخلاق مثالية وديمقراطية تعبر عن نفسية الطبقات المحرومة، فهي أعراض المرض والإنحطاط، إنها قيم عدمية تعكس **«عوارض العطف والكآبة، لقد فهمت ذلك إنها أخلاق الشفقة، هذه الأخلاق التي كانت تصيب حتى الفلاسفة وتجعلهم مرضى... يكفي أن نذكر أفلاطون وكانط وآخرون يتفقون حول نقطة واحدة هي الشفقة».**[1]

إن الاحتكام إلى منطق هذه القيم الأخلاقية والإيمان بمثلها العليا كان سببا في نظر نيتشه في تدهور الحضارة الغربية في العصر الحديث وكانت علامة بارزة تدل على مرض، وانحطاط الإنسان الغربي، ولقد كان لتقديس هذه القيم نتائج سلبية على حياة الأفراد، بل أكثر من ذلك لقد أدتهم إلى العدمية، وعليه يعتقد نيتشه أنه من الضروري إعادة النظر في أصل هذه القيم التي يرى فيها تزييفاً صارماً وانحرافاً واضحاً، لما كانت عليه القيم من قبل مقدسة لغرائز الحياة والوجود.

وبهذا تكون الجنيالوجيا الوسيلة الوحيدة والتي كان بإمكانها الكشف عن أعراض المرض والانحطاط الذي أصاب الغرب، الطريقة المناسبة لرد الاعتبار للقيم الأخلاقية التي عرفت انحرافات خطيرة، بفعل التأويل الميتافيزيقي والديني والذي أفرغها من معناها الوجودي.

كما أن نقده الجنيالوجي عبارة عن منهج أولي يقوم من خلاله بتحليل فكرتي الانحطاط والعدمية التي وصف بها الثقافة الغربية الحديثة، وكانت علامة مرضها انحطاط القيم الأخلاقية، ولذا وجب مراجعة كل القيم والتراث الأخلاقي التي أخذت به المجتمعات الحديثة

[1]–Freidrich Nietzshe, la Génalogie de la Morale, p p15–16.

معلناً حربه على هذه المبادئ المطلقة والتي لا يجرؤ أحد على مناقشتها إذ يقول: **«على أخلاقيين الآن أن يتقبلو نعتنا إياهم باللاأخلاقيين نظراً لكونهم يشرحون الأخلاق ... وكان الأخلاقيون القدماء يعطون أكثر مم يشرحون وهذا ما جعل أخلاقيي الوقت الحاضر، يقعون في هذا اللبس وهذه النتيجة غير سارة »**[1].

وعليه فإن النقد الجنيالوجي النيتشوي يرفض جميع الأخلاق القائمة على مبادئ عليا وعوالم مفارقة، وغرضه هو تبديد هذه الأوهام والأكاذيب حول طبيعة الوجود التي أقيمت عليه منذ أمد طويل.

وبهذا فإن طبيعة الجنيالوجيا الأولى إذ هي هدم أساس الأخلاق التي ترتكز على دعائم ميتافيزقية، وهذا الهدم يستدعي حسب نيتشه أن يبدأ من جذور الميتافيزيقا إلى نهايتها ويكون بذلك النقد الجنيالوجي موجهاً ضد كل التيارات القديمة والحديثة التي تعتمد على مبدأ ميتافيزيقي، وعليه فقد أخذنا نماذج من كل عصر، تعكس الفكرة التي يود نيتشه تحطيمها من خلال نقده الجنيالوجي الموجه ضد: سقراط وأفلاطون، القيم المسيحية والمشروع الأخلاقي الكانطي.

[1]– فريدريك نيتشه، إنسان مفرط في إنسانيته، ج 2، تر، محمد الناجي، إفريقيا للشرق، المغرب،2001، ص ص، 123–124.

المبحث الثاني: جنيالوجيا الأخلاق عند نيتشه.

المطلب الأول: الأخلاق عند اليونان (سقراط وأفلاطون).

ساد في العصر اليوناني مرحلتين متميزتين مرحلة ماقبل سقراط والمرحلة الأرستقراطية، فكان الإنسان في المرحلة الأولى يسلك وقف مشاعره الوجدانية وغرائزه الفياضة التي غالباً ما يعبر عنها عن طريق الفن بمختلف أنواعه لذلك يرى نيتشه أن هذه المرحلة هي أول عهد انتصرت فيه أخلاق القوة على أخلاق الضعف، بحيث كان اليونانيين محبين للحياة الشاقة والمأساوية، وكانت أخلاقهم كلها تدور حول تأكيد قيمة الإنسان وقوته الخلاقة، وشجاعته على مواجهة الضعف والهوان، لذا " **ففي هذه المرحلة –حسب نيتشه– تجسد النموذج الأخلاقي الأرستقراطي بامتياز، بل هي أرقى أخلاق وجدت حتى الآن بما هي أخلاق قوة وحفاوة الجسد واحتفاء ومن ثمة كان شأن هذه الأخلاق شأن سجايا تميز فردي وثقة في الذات وعلو همة**". [1]

وليس المقصود هنا ثقة الفرد في ذاته بما هو فرد وإنما بما هو مدينة، يكفي للتدليل على ذلك أن نرسم مساراً للأحاسيس الأخلاقية اليونانية الأساسية، وقد تجسدت هذه الأخلاق في الإقتدار على الإفتراء والمقدرة على ردود الأفعال الأكثر فظاعة ودهاء، والمعاملة بالمثل والندية ندية الأقوياء لاندية الضعفاء. التصميم على إعتلاء مجد البطولة والقدرة على توظيف كل الوسائل لخدمة الغايات، وتوقد الفكر حد إثارة إعجاب الآلهة، "**ذلك هو المثال الأخلاقي اليوناني مجسداً مجسماً. لكن الأخلاق التي وصفناها هاهنا هي أخلاق الشعب الفعلية المتحققة، وما كانت هي أخلاق الفلاسفة النظرية التصويرية، فهذه توهين**

[1]– محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نيتشه، ط 1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت،2008، ص 415.

للأخلاق الأرستقراطية واسفاف بها، وهو توهين إستند إلى عدة آليات جهنمية، منها محاولة تعقيل الأخلاق". [1]

فما كان شأن إعمال العقل في الأخلاق ليعني تحسيناً لها ولا تقوية ولا تثميرا ولا تشذيباً ولا تهذيباً، وإنما يعني بالضد توهيناً لها وإضعافاً.

"**ولم يكن يخطر على بال الأرستقراطية اليونانية أن تضع أخلاقها على محك العقل وتناقشها بالرأي، لأن هذه كانت صادرة عن نوازعها، وهي كانت تثق فيها، ولأنها كانت نوازع حية معيشة، ولأن المجتمع الأرستقراطي الحق كان يرفض اللجوء إلى الأساليب الجدلية، إذ كان التقليد قويا كافياً**". [2]

بمعنى أن المجتمع لم يكن في حاجة إلى تعقيل الفضيلة، وتسويغها وتبريرها، لأن المفروض في المبادئ الأخلاقية الحقة ألا تكون واعية لذلك لم تلجأ الأرستقراطية اليونانية إلى مناقشة الأخلاق بتوسع العقل والجدل. ذلك أن الأصل في الأخلاق اليونانية أنها لم تكن لتفكر أبداً في سعادة الفرد بما هو فرد، وإنما بالضد كانت ترهب هذه السعادة، وكان همها إقامة الرباط بين الأفراد والأجيال.

ولكن بمجيء سقراط تغيرت الأحوال، وذلك باستبداله الجمال الرومنطيقي بالتأمل العقلي فجعل من العقل الحاكم المطلق، الذي تتبع منه النواميس الأخلاقية، إذ تعجب سقراط من الرجل الذي تمنعه الأخلاق الأرستقراطية على التبرير المنطقي لذاتها، ولاحظ أنها لا تستطيع تعليل سلوكاتها، ثم إن طرح مسألة تعقيل الفضيلة، فأراد أن يلبسها لباس الأمر المبرهن عليه القائم على حجج، "**وأراد إعادة تأسيس الأخلاق على أساس الجدل لما كان منه من إعتبر الجدل طريق الفضيلة، ومن جهة أخرى رام سقراط تأسيس أخلاق فردانية معارضة للجماعة ولقوانينها، وصار البحث في الأخلاق بحثاً عن سعادة الفرد، لقد أفقد**

[1]– محمد الشيخ،ـنقد الحداثة في فكر نيتشه ، ص 416.

[2]– المرجع نفسه، ص 417.

سقراط الحكم الأخلاقي جمعيته، ونزع الفرد عن لحمه، ونسيجه التاريخي، مقابل ذلك ملأ هذه اللحمة بضجيج الجدل، إذ ما فتئ يناظر في موضوع الفضيلة وكيفية تحصيلها بالنظر العقلي والحال أن ذلك دل على إنتهاء العهد اليوناني الأفضل ومجيئ عهد فلاسفة الأخلاق". [1]

ولقد أصبحت الفلسفة بدءاً من عهد سقراط، ذلك الشكل الأسمى من التفكير في مسائل سعادة الفرد الشخصية، وإنهاء لسعادة إنسان تعس مقاس معان، وبلا شك مريض أيضاً، وما يوجه المفكر الأخلاقي على التحقيق، ليس النوازع الخلقية وإنما نوازع الإنحطاط أي نوازع الضعفاء أي العبيد.

"**ههنا على يد سقراط، وخلفه أفلاطون خاض العقل صراعاً وحشياً ضد الأهواء والنوازع، لقد توسل الفلاسفة اليونانيون الذكاء، والوضوح والصرامة والمنطق، أدوات ضد ما أسموه "فظاظة النوازع"، وقد دفعوا بذلك حد الطغيان، فتحول المنطق إلى إرادة قوة، وتسيد على الذات واستأثاراً بها، مدعين في ذلك أنه أداة إسعاد".** [2]

كما هو الحال أن ما بدأ سقراط أتمه تلميذه، كما نجد لدى أفلاطون رهاباً من المتعة بما هي قلابة للقيم جذابة فتانة.

ذلك أن الأخلاق اليونانية كانت لليونان غريزة وجبلة، ولم تكن لهم صنعة ولا برهنة ولذلك لم يكونوا يحتاجون لتعقيلها، وتسويغها وتبريرها، أي أنهم ما كانوا يحتاجون إلى تأسيسها على الجدل، والعقل والنطق.

[1]– محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نيتشه، ص418.

[2]–المرجع نفسه، ص 419.

المطلب الثاني: موقف نيتشه من قيم الديانة المسيحية.

لقد تفرعت جذور المرض والإنحطاط حتى طالت الحضارة الغربية، في الفترة الحديثة وفعل المرض فعلته ونخر جسم هذه الحضارة وجعل منها جثة هامدة وجب دفنها قبل أن تتعفن وتصبح خطراً مهدداً لحياة البشرية جمعاء، إن هذا الخطر المهدد لحياة الإنسانية عبارة عن نموذج من نماذج الإنحطاط التي دعا نيتشه فيما سبق إلى محاربتها والتعجيل باستئصالها، إنها في كلمة "الديانة المسيحية".

لقد كانت دعوة نيتشه إلى معاصريه واضحة المقاصد: القضاء على كل مظاهر الإنحطاط والمرض، والتخلص من وطأة القيم الزائفة إذ يقول «**تقوم على الإيمان بقيم كان نيتشه يدعو معاصريه إلى أن يتخلصوا منها وأن يستبدلوها بما هو خير منها، لأنها في نظره قيم الإنحطاط، وحياة تميل إلى الانطفاء وهي قيم النصرانية (المسيحية)، والتشاؤم والعلم وأخلاقية الواجب، والعقلانية والإشتراكية والديمقراطية وغيرها**» [1].

يبدأ نيتشه نقده للمسيحية من إطار التصور المسيحي لمفهوم الإله، إذ يؤكد أنه أكبر التصورات فساداً وإغراءاً على وجه الأرض « **إن التصور المسيحي للإله– إله المرضى، إله العنكبوت– إله الروح هو أحد التصورات الإلهية الأكثر فساداً التي حدث أن تحققت على الأرض، وربما حتى أنه عند أسفل مستوى من التصور النازل للنموذج الإلهي الإله منحط إلى حد أن يكون في تناقض مع الحياة، والطبيعة وإرادة الحياة الإله الصيغة المعتمدة لكل إفتراءات "الحياة الدنيا" ولكل أكاذيب الآخرة، العدم المؤله في الإله إرادة العدم المقدسة**»[2] ومن هنا تكون المسيحية في نظر نيتشه والإله الذي تضعه كمثل أعلى لها مجرد افتراءات على هذا العالم الأرضي، إنها تعبر عن العناء وإرادة العدم، فهي معادية لغرائز الحياة والوجود.

---

[1]–Freidrich Nietzshe, l'antéchrist, trad, Eric Blondel, Edition Flammarion, Paris,1994, p62.

[2]– الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص 88.

لقد كان لظهور المسيحية الفضل الكبير في إعادتها للحياة توازنها، وقيمتها الروحية والدينية المستقلة عن حياة المادة ورغباتها، فمن مجال الجسد وملذاته سارت الديانة المسيحية إلى الرغبة والشهوات الغرائزية، وجعلت منه فرداً يعيش طبقاً للمعاني الروحية، وطبقاً للمعايير السماوية.

"**إلا أن نيتشه لا يرى ذلك بل تعتبر المسيحية في نظره أقوى ظاهرة في تضليل غرائر الإنسان الأوروبي، هذا التظليل الذي يوهم بكمال العالم الأخروي، ويؤكد بالمقابل على انتقاص قيم العالم الأرضي**".[1]

فالمسيحية حركة عدمية، يظهر ذلك جلياً في مبادئها وتعاليمها التي تدعو دائماً إلى العدم، إن ممارسة فضائلها تعبير أيضاً عن انتصار قوي العدل على القوى المؤكدة للحياة.

يرفض نيتشه المسيحية لأنها معادية للعالم الأرضي، لغريزة، الجسد ولأنها أيضاً تتسم بطابع رعائي مرضي، فهي السبب في إعدام قيم السادة والبطولة «**إن المسيحية المعادلة لكل نجاح فكري، فلا غاية لها ولا هدف تسعى من أجل بلوغه همها الوحيد والمقدس: زرع السم، إثارة النميمة، إعدام الحياة ونفيها، احتقار الجسد والغريزة، الحط من قيمة الإنسان**» [2]

ويبدو أن المسيحية برأي نيتشه لم تقم بنفي الحياة والحط من قيمة الإنسان فحسب بل تعدد ذلك، فلقد جعلت من القيم الوجودية التي لها علاقة بالكائن، عدماً ووهماً وجعلت حقيقة العالم الأرضي وهماً وكذباً، وجعلت من شعارها المزيف "الحقيقة" توكيداً وإثباتاً.

ويرد على هذا التظليل قائلا «**إن الفكرة الحقيقية التي تتكلم عنها المسيحية، فكرة زائفة ولا معنى لها، لأنه بإمكانها العثور على هذه الفكرة عبر التاريخ، متجسدة في**

[1]– أوغين فنك، فلسفة نيتشه، تر ،إلياس بدوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،1974، ص 161.

[2]–Freidrich Nietzsche, l'antéchrist p p ،112– 113.

الطبيعة أو ما ورائها، إلاَّ أنَّ الإله (الحقيقة) الذي تؤمن به المسيحية ليس إلهاً، وإنما يعبر عن كائن رحيم يثير الشفقة، كائن بحثي ضار، إنه إله بمثل جريمة ضد الحياة، لذلك نرفض هذه الحقيقة المزيفة هذا الإله المسيحي»[1]

كما يرى نيتشه في المسيحية ملجأ يجمع فيه كل الضعاف من مهمشين، مهزومين منحطين، ومن حثالة وحتى الزهاد والمتصوفة، كما أنّه –حسب نيتشه– جميعاً علامات من الإنحطاط والمرض مبينة بذلك الطابع الإنحطاطي التي تتسم به المسيحية على وجه العموم.

ومن هنا يتضح السبب الذي أدى بنيتشه إلى أن يشن حملته ضد المسيحية، إذ انحرفت عن مبادئها الأولى، أي كما جاءت مع ظهور المسيح، لهذا يعتقد نيتشه أنّ المسيحية الحقيقية الأولى قد إندثرت بموت المسيح على الصليب. وبالتالي فالمسيحية التي هو بصدد نقدها إذاً تتمثل في المسيحية المنحرفة عن تعاليمها الأصلية، إنها مسيحية الرعاع والخونة والمهمشين، لذلك وجب عليهم«**أن يندثروا فهو شعار مبدؤنا القاتل بمحبة الآخرين، وعليه ينبغي علينا أن نساعدهم في ذلك (الزوال)»** .[2]

ولكن يتساءل نيتشه من يقف وراء هذا التحول والتغير الذي طرأ على المسيحية الأولى؟ ومن حرف المسيحية عن مسارها ومن جعلها تقوم على أسس دينية، وأخلاقية غير التي كانت عليها من قبل (مع ظهور المسيح) ؟

يعتقد نيتشه أن رجال الكنيسة من كَهَنَة وقَسَاوسَة هم الذين يقفون وراء تلك التحولات التي عرفتها المسيحية في أهدافها، مساعيها وحتى مبادئها وكان هدفهم من وراء ذلك وتحقيق مصالحهم الشخصية، لذلك كان« **النظام الأخلاقي للوجود كما تُصوره لنا الديانة المسيحية قائم على فكرتين هما: الخطيئة والعقاب يالها من خرافة ! ألم يفهم الناس بعد**

[1]–Freidrich Nietzsche, l'antéchrist, p ،104.

[2] –Ibid, p46 .

أن هاتين اللفظتين من صنع القساوسة، هدفهم من وراء هذا الخلق : القضاء على الإنسان والعلم معا[1] **».**

ونفهم من ذلك أنّ القساوسة هُم من زيفوا القيم التي تقوم عليها المسيحية الأولى، ووضعوا مكانها قيم تتعارض مع الوجود الإنساني، وذلك من خلال خلقهم للمفاهيم الخاطئة والعقاب التي يعتبرها نيتشه مجرد أكاذيب.

ومن هنا يرى نيتشه أنّ الكنيسة تقوم على محاربة العقول الحرة، وذوي الأجساد القوية فهي في إتجاهها الدائم، وتستمر استئصال الغرائز، وإنها في حرب دائمة ضد قيم الوجود، كما أنها سيطرت على الحياة الدينية من خلال تعاليمها وأصبحت تتدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياة الأفراد.

لذا يدعو نيتشه إلى محاربة قيم النصرانية التي تتسم بطابع رعائي وعبودي وعلى الإنسان الأوروبي الحديث أن يتحرر من أغلال أخلاقيتها الهدامة لقواعد الوجود الطبيعي والإنساني، إنّها حجرة عثرة تعيق تقدم الإنسانية، وكانت سبباً في اندثار القيم الأصلية الأُرستقراطية التي تعتبر رمز للقوة والاختلاف والسيادة، وكان الانتصار حليف الضعفاء تحت شعار المسيحية القائل بالمساواة يقول نيتشه «**لقد صارت ديمقراطية الغرائز المتحمسة اليوم الفائزة... لقد انتصرت الأُرستقراطية باسم القيم المسيحية** » .[2]

هكذا إذن المسيحية في نظر نيتشه تحث الإنسان من خلال قيمها الزائفة على الانتحار والموت، فهي كما بين نيتشه عبارة عن حركة متناقصة للمسيحية الأولى، لقد غيبت الجسد وقيدت الغرائز بواسطة تعاليمها، وهي بذلك تعادي الوجود الإنساني.

[1]– Freidrich Nietzsche, l'antéchrist,، p112.

[2]Ibid, p : 107.

لذا يجب تجديد القيم من خلال بشارته المعلنة بموت الإله **«أرجوكم يا إخواني أن تظلوا أوفياء للأرض... فيما مضى كان التجديف من أقبح الكبائر ولكن الرب مات فمات المجدفون بدورهم»** [1]

المطلب الثالث: موقف نيتشه من المشروع الأخلاقي النقدي عند كانط.

يرجع نيتشه تقهقر الفلسفة الألمانية إلى جملة من العوامل منها، أولاً: إنها فلسفة تقوم على مبادئ مثالية مفارقة للوجود، تحجب الأشياء وتنكرها، ثانياً إنها مجرد إمتداد للفكر اللاهوتي المسيحي، الذي بدوره يقوم بتزييف الواقع ونفيه، ومن أبرز ممثلي هذه النزعة المثالية التي يتهمها نيتشه بالتواطؤ مع الكنيسة المسيحية ورجال اللاهوت نجد(ليبنتز 1646- 1716)، كانط (1724-1804)، فيخته (1762- 1814)، شبلنغ (1775-1854)، هيجل (1770- 1831)، إنهم في نظره قساوسة، كهمة إنهم صانعوا الأقنعة. [2]

ويطلق نيتشه على هؤلاء تسمية "شغيلة الفلسفة" ويعني بها عمال الفلسفة، وخادمي اللاهوت والميتافيزيقا، ولقد نعتهم بذلك لأنهم يدّعون أنهم "مفكرون أحرار"، تحرروا من قيود الدين والنظم الألاقية، والمعرفة الكلاسيكية.

يقول في مؤلفة فيما وراء الخير والشر "<< **أرجو أن يتوقف الناس أخيراً عن الخلط بين شغيلة الفلسفة، وأهل العلم عموماً هذا من جهة، والفلاسفة من جهة أخرى إنه لمن المهم والضروري في هذا المقام بالضبط أن يعطي لكل ذي حق حقه بشكل صارم، وأن لا يعطي إلا الكثير ولذلك القليل... إن شغيلة الفلسفة هؤلاء، من النوع النبيل الذي يمثله كانط وهيجل... وسيكون على هؤلاء جميعاً ملاحظة وصياغة أحكام القيمة بمعنى التقويمات القديمة للقيم، والإبداعات القديمة للقيم التي أصبحت السائدة وسميت في وقت**

[1]- فريدريك نيتشه، هكذا تكلم .زرادشت، تر، محمد الناجي، إفريقيا، الشرق ، المغرب، 2006، ص 14.

[2]-Freidrich Nietzsche, l'antéchrist, p p 131- 132.

من الأوقات "الحقائق" إما في ميدان المنطق أو في ميدان السياسة، أو الأخلاق أو في مبحث فلسفة الجمال>>. [1]

يتبين لنيتشه أن غرض النقد عند كانط، هو القضاء على الوجود، لذلك يعتبره إمتداداً للاهوت والديانات المسيحية، وتتلخص الفلسفة العملية عند كانط في تناول موضوع الأخلاق وهو الشيء الذي عالجه في مؤلفه "نقد العقل العملي" "وتأسيس ميتافيزيقيا للأخلاق"، ويعلن كانط منذ الوهلة الأولى لهذا الكتاب <<هذا الكتاب في تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق لا يزيد عن كونه محاولة للبحث عن مبدأ الأعلى للأخلاق وتثبيت دعائمه، وهي محاولة تكفي في الهدف المقصود منها لأن تكون عملا متكاملا يمكن الفصل بينه وبين كل مبحث آخر في الأخلاق>>. [2]

ولعل هذا المبدأ الأعلى الذي يتوجب أن تقوم عليه الأخلاق الكانطية يتمثل في العقل لأنه المبدأ الوحيد في نظره الجديد بأن يكون سليماً، وينبغي أن يتوفر على جملة من الشروط منها: أن يكون قادرا تزويدنا بمعيار أو قانون، إذ من خلاله يمكننا حل المسائل، والإشكاليات الأخلاقية **<< إن كل إنسان لابد أن يسلم بعقله بأن قانون يراد له أن يكون قانونا أخلاقيا... لابد أن يحمل الذروة المطلقة>>**[3]

فالأخلاق إذا في نظر كانط يجب أن تكون بالضرورة نابعة من العقل الخالص من تجريب، كما يتوجب أن تقوم على مبادئ نظرية وأسس يمكن التسليم بها وجعلها مثل الرياضيات القائمة على اليقين والبداهة والوضوح بحيث لايتم التشكيك فيها لأنها صادرة من العقل الذي يعتبر مبدأ ثابت، وقويم في الإنسان مثل**<< الفهم الذكاء وملكة الحكم وما**

---

[1]– فريدريك نيتشه، ماوراء الخير والشر، تر: جيزيلا فالور حجار، ط 1،غروب، بيروت، 1995، ص ص: 231–232.

[2]– إيمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق، تر، عبد الغفار مكاوي، مراجعة عن عبد الرحمن لدوي، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1980، ص 13.

[3]– المرجع نفسه، ص 8.

سواها من مواهب العقل، أيا كان الإسم الذي تسمى به... هي كلها بلا ريب خصائص خيرة خلقية>>. [1]

وأول قاعدة تقوم عليها الأخلاق الكانطية: الإرادة الخيرة، التي يتدخل العقل في تسييرها فهي المعيار الذي به نستطيع الحكم على السلوكات الخيرة إن كانت خيرة أو شريرة.

فهي السبيل الوحيد لبلوغ السعادة الأخلاقية << يبدو أن الإرادة الخيرة هي الشرط الذي لا غنى عنه لكي يكون الإنسان خليقا للسعادة>> .[2]

وسميت إرادة خيرة لأنها خيرة في حد ذاتها، فهي منزهة عن الأشياء المادية والمحسوسة فلا يوجد مثيلها على الإطلاق فهي بمثابة الخير الأسمى المرتفع عن الأهوال والنزوات والغرائز.

وهذه الإرادة أيضاً قائمة بدورها على قاعدة أخرى تدعى: بالواجب إذ يعرفه كانط ب <<القانون المجرد في ذاته هو وحده يمكن أن يكون موضوع كل احترام وبالتالي أمراً أخلاقياً>> [3]

ويتضمن مفهوم الواجب عنده ذلك السلوك الصادر من الواجب من أجل الواجب فحسب، وبهذا لا تتحدد القيمة الأخلاقية لأي سلوك أو لأي فعل من الأفعال إلا إذا صدرت من الواجب والإرادة الخيرة.

وإذا كانت الأخلاق عند كانط تقوم على الإرادة الخيرة والتي أساسها الواجب بدوره يقوم عليها، فإن استمرار هذه الأخيرة مرتبطة بالأساس الذي بنيت عليه وهو العقل الذي يعتبره كانط مطلبا ضروريا لاستقرار السلوك الأخلاقي

---

[1]– إيمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق، ص 23.

[2]– المرجع نفسه، ص 18.

[3]– المرجع نفسه، ص 28.

كما يرى أن الإلزام الخلقي هو جوهر الأخلاق، فهو صادر من الإرادة الخيرة لذا فهو صالح لكل البشر .

يرفض نيتشه العلاقة التي أقامها كانط بين العقل والأخلاق والتي بموجبها يكتسي العقل صبغة عملية فهذه العلاقة تعتبر عن إرادة تواطؤ كانط مع السلطة الكهنوتية، والتي من خلالها يمكن السيطرة على الأفراد والتحكم في غرائزهم وذلك من أجل أغراض متمرسة هدفها قهر الجسد واستنطاقه والتسلط عليه من خلال فكرة العقل العملي والذي ينمي فيهم شعورا نفسيا بالنفور من ماديات هذا العالم .

وعليه فالواجبات والأوامر والنواهي الأخلاقية التي تكلم عنها كانط هي في نظر نيتشه إلا **<<حركة معادية لصيرورة الجسد والغريزة إنها تنتشر من خلال فضائلها، ولا تريد أن تكشف عن أهوائها ورغباتها الأكثر شدة... إنها تعبر عن غرائز اجتماعية مريضة أصابها الضعف والمرض>>** ومعناها أن الأخلاق الكانطية القائمة على أسس عقلية خالصة، يعود مصدرها إلى قوى لا عقلانية، غريزة طبيعية ، وبالتالي لا علاقة لها بالأخلاق، فهي ناتجة عن غرائز أصابها الوهن والمرض. [1]

وبهذا يعتقد نيتشه أن الأخلاق التي عرفها الإنسان القديم تعود لكل مصدر غريزي، إلا أن هذا المصدر غير وحرف ومورس عليه نوع من القمع بموجبه طرأ تغيير على الأخلاق صارت معقلنة ومروضة لدرجة لم نعد ندرك أصلها اللاعقلاني الغريزي، وبهذا تكون الأخلاق الكانطية كما يرى نيتشيه عبارة عن قمع للغرائز، بإعتبارها وظيفة عضوية، وفيزيولوجية للجسد، فهي لإذن الأخلاق الكانطية تصعيد للأهواء والرغبات إلى جانب ذلك يرى أنها مجرد أخلاق تخفي وتحجب مالم يمكن التحدث عنه وهي الغرائز، فهي بالمقابل

[1] –Freidrich Nitzschre,Aurore ,trad Julien Henrier, librairie gènèral Française,Fance 1994,p35.

تقدم تبريرات عن ذلك بإسم فضائلها المريضة ومثلها التي تدعي بأنها سامية لذلك: <<**صار الأوروبي الإنسان الحديث حيوانا مريضا يتقنع بواسطة أخلاقه>>**[1].

وأخيرا هكذا إذن تبدوا أخلاق كانط بالنسبة لنيتشه تدين النفاق الأخلاقي باسم الأخلاق المتعالية، المثالية أخلاق الواجب، ويرفضها لكونها أخلاق متنكرة للوجود، فهي أخلاق تعكس مرض الإنسان الحديث الذي يدعي معرفة الخير والشر في ذاتها ويرفض أوامره كقوانين شاملة وحقائق مطلقة، إنها أخلاق القطيع لذا وجب اعدامها قبل أن تعدم الحياة والغرائز، لأنها قيم تقلل من شأن الفرد ، وتشل قواه وتغرب الإنسان وسلب حريته وقتل قدراته الإبداعية وذلك من خلال صيغتها الاستبدادية القائلة ب " الواجب " " الالزام الخلقي ".

لذا فقد فشل كانط –حسب نيتشه –في تحقيق مشروعه النقدي الأخلاقي ، فالسبب في ذلك يعود إلى افتقاره إلى المنهج الذي يمكنه من الحكم على العقل من الداخل دون أن توكل للعقل مهمة مقاضاة ذاته .

[1] –Freidrich Nitzschre ,le Gai savoir,tard,Pierre klossowski,Edition Gallimard Paris 1982 ,p251.

المبحث الثالث : الأخلاق النيتشويه بين السعادة والقوة.

هناك من يعتبر نيتشه فيلسوفا مجددا ثوريا، استطاع فتح حقول معرفية جديدة، باستعمال مناهج نقدية لم يتم إستعمالها أصلا. لكن هناك من ينكر ذلك ويعتبر فلسفته، خاصة في مجال الوجود، مجرد وجه سلبي وانفعالي لكل النظريات والفلسفات السابقة.

لكن الشيء الذي لا يمكن أن ينكره أي فيلسوف مهما كان معارضا ومعاديا لنيتشه، هو أنه في ميدان فلسفة الأخلاق استطاع أن يترك بصمات، وأثار قوية وظاهرة وعميقة وعنيفة كذلك

وهذا ما يجعل الكثير من مؤرخي الفلسفة وناقديها، يصفون نيتشه كفيلسوف أخلاقي أكثر مما يصفونه في ميدان الميتافيزيقا أو الابستيمولوجيا، وحتى في فلسفة القيم الجمالية أو المنطقية، أن المكان الأصلي والحقيقي لفلسفة نيتشيه هو الأخلاق .

والسبب الذي جعل نيتشيه يرمي بكل ثقله على المسألة الأخلاقية، هو أن موضوع الأخلاق والتقويم هو الذي يشكل ماهية الإنسان وحقيقته. فالإنسان هو ذلك الكائن الذي يقوم الأشياء، ويصدر عليها أحكاما وأثمانا فزراديشت في رحلاته الكثيرة والمتعددة بين الشعوب والمدن، لم يكتشف إلا شيئا واحدا مهما، وهو أن : "**أكبر قوة على الأرض هي : الخير والشر، فلا يمكن لأي شعب أن يعيش دون أن يصدر القيم، ويقيم القيم**" .[1]

هذه الأهمية القصوى للأخلاق جعلت نيتشيه يراجع كل المنظومات الأخلاقية والمذاهب الأكسيولوجية عبر التاريخ، بدأ من أخلاق السعادة مرورا بأخلاق اللذة والمتعة، وصولا إلى أخلاق الواجب وأخلاق المنفعة كما صاغها الإنجليزيون الذي صب عليهم انتقادات لادغة. لكن ما يهم في هذا المقام هو موقف نيتشيه من فلسفة الأخلاق الأرسطية، والتي عرضها بالتفصيل في كتابه المعروف ب: **الأخلاق إلى نيكوماخوس** ".

[1]– عبد الكريم عنيات ، نيتشه والإغريق، إشكالية أصل الفلسفة،ط1 الدار العربية للعلوم، بيروت2010 ، ص 170.

يمكن إجمال نظرية أرسطو الأخلاقية وتلخيصها فيما يلي: إن كل الناس عندما يأتون أفعالاً، فإنهم يسعون وراء هدف وغاية معينة، لأن السلوك الإنساني مطبوع بصفة الغائية، لذا تجد كل فرد يسعى لبلوغ ما يعتقد أنه خير، لكن هذا الخير قد يكون جزئيا، لذا تجد الإنسان بمجرد ما يبلغه يفكر في خير أعلى منه، وكأن الخير الأول مجرد وسيلة يستعمله لبلوغ خير أعلى منه منزلة بمعنى أن كل خير يلغي خيراً آخر... وهكذا تتدرج سلسلة الغايات إلى أن نصل إلى الفعل الذي لا يمكن أن يكون وسيلة لهدف أعلى، وهذا الفعل هو الهدف الأقصى، لذا نسميه السعادة.

والشيء الذي يدفعنا –يقول أرسطو– إلى عدم جعل لذة الخير الأسمى هو مثلما قال أفلاطون، لو أننا خيرنا بين اللذة لوحدها واللذة المصحوبة بالحكمة لاخترنا بالضرورة الإحتمال الثاني، أي اللذة والحكمة معاً وهذا يدل على أن اللذة ليست الخير الحقيقي. [1]

والطريق الذي يمكن الوصول به إلى الخير الأسمى والمطلق، والذي يسمى السعادة، هو طريق الفضيلة بنوعيها الأخلاقية والعقلية.

ولما كانت أفعال الإنسان تتراوح بين الإفراط والتفريط، والجبن والتهور، الإضافة والإنقاص، ولما كان كلا القطبين المترفين لا يمكن لأي حال لاعتبارهما فضيلة فإن المبدأ الذي يجب أن نسير عليه في الأخلاق، هو ما يسميه أرسطو ب: الوسط الذهبي بحيث تكون الشجاعة مثلا هي الوسط بين الخوف أو الجبن والتهور ومن هذا المثال الخاص يمكن وضع قاعدة أخلاقية مفادها أن الفضيلة هي وسك بين رذيلتين. [2]

ومن هذا العرض السريع، يمكن أن نتساءل: هل يوافق نيتشه على هذه النظرية الغائية التي تجعل السعادة هدف الأفعال الإنسانية الفاضلة؟ وأكثر من ذلك: هل تتوافق وتتلائم فكرة الوسطية مع أخلاق القوة والإفراط كما حددها نيتشه؟.

[1]– عبد الكريم عنيات، نيتشه والإغريق، ص 171.

[2]– المرجع نفسه، ص172.

يجيب نيتشه في الكتاب الذي خصصه للمواضيع الأخلاقية والقيمية بما يلي:

أليست كل تلك الأخلاقيات التي تحول للفرد بناء "**سعادته**" كما يقول، صكوك تراضي مع الخطر الذي يهدد الشخص في أعماقه، مجرد وصفات ضد أهوائه مجرد تحايلات وخدع صغيرة وكبيرة (...) هذه هي نزعة الأخلاق الأرسطية[1].

والملاحظ هنا في قراءة نيتشه لفكر أرسطو، اعتبار السعادة الهدف الأقصى للفعل الإنساني.

ثمَّ إن الغائية التي سيطرت على الفكر الفلسفي منذ القديم إلى اليوم، قد أفسدت كل الأخلاقيين، وأرسطو من مثبتي ومكرسي هذه الفكرة التي تقول كل فعل نقوم به له غاية، ويقرر نيتشه بصورة جازمة في إرادة القوة ما يلي: "**السعادة ليست الهدف، بل الهدف هو الإحساس بالقوة. ففي الإنسان والإنسانية ككل توجد قوة هائلة وكبيرة تبحث عن طريق ومخرج لأن تتحقق**". [2]

إن إرادة القوة، كإرادة للسيطرة والاستئثار والسلطة هي –حسب نيتشه – في حقيقة العالم والوجود والمعرفة والأخلاق، ومنه فإن نظرية أرسطو في اعتبار الفضيلة كوسيلة تتلائم أصلاً مع تطرف وطغيان إرادة القوة. وبالتالي فإن أرسطو قد ثبط الهمم وأسكت صوت القوة الكامنة في كل إنسان راقي، فنظرية الوسيط الذهبي في الحقيقة تكملة وتزكية لنظرية أفلاطون، ومن قبله سقراط، اللذان قام بنشر وتعليم حكمة معبد دلفي التي تقول: "**تجنب الإفراط في الأمور**"[3].

[1]– فريدريك نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص: 102.

[2]– عبد الكريم عنيات: نيتشه والإغريق، ص 173.

[3]– كامل محمد عويضة، فريدريك نيتشه نبي فلسفة القوة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص 15.

هذه الحكمة تدعو للوسطية والاحتكام إلى المنطق الاعتدال، وينتهي نيتشه –إلى أن تقييماتنا وتقديراتنا الأخلاقية لا يجب أن ترتبط باللذة والألم أو السعادة، والمنفعة، فالأصل هو القوة.

إن الشعور بالسعادة الذي ركز عليه أرسطو في تحليله ورفعه إلى مرتبة الأصل والهدف الحقيقي، ما هو في نهاية التحليل، وفي نظرية نيتشه، إلاَّ تحقيق وبلوغ أعلى درجات القوة والسيطرة[1].

[1]– محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نيتشه، ص ص،349– 350.

الفصل الثاني

إرادة القوة والبديل الاخلاقي

المباحث:

- موت الإله وحلول العدمية
- إرادة القوة كمبدأ لتأسيس أخلاق جديدة
- الإنسان الاعلى بوصفه خالقا للقيم

المبحث الأول: موت الإله وحلول العدمية

إن أعظم حدث في عصرنا، هو موت الإله المسيحي، أي عدم الإيمان بالإله المسيحي، بدأ يلقي الشك بظلاله على أوروبا، على الأقل بالنسبة لبعض الناس، بالنسبة لأولئك الذين كان الشك في عيونهم قويا وحادا بالدرجة التي تكفي لرؤية هذا المشهد، إن بعض الشموس قد غربت وبعض الثقة القديمة العميقة قد تحولت إلى شك.

يقول نيتشه "**في الواقع إننا نحن الفلاسفة، نحن العقول الحرة، عند سماع خبر أن الإله القديم قد مات، نحس وكأن أشعة فجر جديد قد لمستنا، يفيض قلبنا لهذا الخبر، بالشكران، بالدهشة، بالتوجس، بالانتظار، ها هو ذا الأفق صاف من جديد، وإن لم يكن صافيا تماما هاهي ذي سفننا حرة في استئناف سباقها، مهما كلفها الأمر، هاهي ذي كل جرأة المعرفة قد سمح بها والبحر، بحرنا، هاهو ذا مفتوح من جديد، ربما لم يكن هناك أبدا بحر مفتوح بمثل هذا الشكل**"[1].

فعندما يقول نيتشه لقد "مات الإله" يعني موت الفكرة المتجاوزة والمفارقة للمادة والتي تعطي للكون تماسكا وهدفا أو غاية، فموتها يعني نهاية فكرة المركز المتجاوز للمادة والكائن بطبيعة الحال خارجها، وعليه لن تكون هناك حقيقة ثابتة غير خاضعة للتجربة المادية المباشرة، بعبارة أخرى تقتضي فكرة "موت الإله" النهاية الحتمية للميتافيزيقا وما يترتب على ذلك من موت لفكرة الحقيقة.

ويرى نيتشه في الاحتقار المثالي للجسد إرادة في التهديم تجهل ذاتها، وفي هذا التصور المثلث للفضيلة والعالم الآخر، واحتقار الجسد يتم التعبير عن الفكرة القائلة بأن الإله قد مات والرؤية نفسها توجه تفسير الموت والحرب والصداقة والحب، فكل العلاقات الأساسية تتبدل قيمها وتمحص من جديد، وتوزن ثانية، ولم يعد ميزان الوجود في يد الله، إذ يعتبر كل شيء منذ

[1]– فريديريك نيتشه، العلم المرح، تر، حسان بورقية ومحمد الناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007، ص ص 204–205.

موت الإله اعتبارا جديدا، الأرض هي المقياس الأخير، وفي الإخلاص للأرض إنما ينم التحري الكبير لجميع الأمور الإنسانية.[1] تعتبر هذه الفكرة من أهم الأفكار الأساسية في فلسفة نيتشه فعبارة "إن الله قد مات" كما فسرها هيدغر تعبر عن الاعتقاد بأن العالم الآخر بكل صوره الفلسفية فقد دعائمه، وأنهار من أساسه، فتلك الفكرة إذن مرتبطة بموقفه من الفلسفات التقليدية القديمة، بحيث لا يبقى أمام الفكر إلا البحث في القيم، وتنتقل هذه الفلسفة إلى البحث في الذات أما التفسير الآخر لهذه الفكرة حسب فؤاد زكريا هو إفساح الطريق أمام الإنسان ذاته فحسب، فهو ينظر إلى فكرة الله على أنها تمثل الحد النهائي التي لا تستطيع قدرة الإنسان الخالقة أن تتعداه، فهي إذن عقبة ينبغي إزالتها فذلك هو معنى كلمته المشهورة "لو كان هناك إله فكيف كنت ألا أطيق ألا أكون إلها" ففي رأيه أن بين الله والإنسان في الخلق تعارضا ولا بد من اتساع الطريق أمام قوة الإنسان الخالقة من أن تنزاح كل العقبات من طريقه.[2]

كما يجب الإشارة إلى التفسير الذي يقدمه ياسبرز (لموت الإله) عند نيتشه، وفي البداية يجب أن ننتبه إلى أن ياسبرز يهتم اهتماما كبيرا بالصياغة التي أعلن نيتشه فيها رفضه للإله المسيحي فيقول "**إن نيتشه لا يقول " لا يوجد إله" أو "لا أومن بالإله" ولكنه يقول "لقد مات الإله"، ثم يربط برباط وثيق بين "موت الإله" والعدمية مؤكدا أن هذه العدمية ليست فقط نتيجة للتعالي، ولكنها أيضا نتيجة لإيمان الإنسان في العقل والنطق "فالاعتقاد في مقولات العقل هو سبب العدمية**".[3]

بمعنى أن نيتشه كان يأمل من إعلانه عن موت الإله أن يتغلب على العدمية وأن تفسيره للعالم ومذهبه في العود الأبدي كان بمثابة حركة مضادة لهذه العدمية فهو يريد أن يتيح الفرصة لإعادة الإقرار بوجود الإله وأن يفتح طريق التعالي أمام الإنسان من جديد.

---

[1]- أويغن فنك، فلسفة نيتشه، ص 82.

[2]- فؤاد زكريا، نيتشه، ص ص 45-46.

[3]- يسرى إبراهيم، فلسفة الأخلاق فريديريك نيتشه، ط 1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص 146.

لذا عد نيتشه الإيمان بأن العقل الإنساني قادر على التزود بمعرفة يقينية إنما هو وهم، وكل إدعاء أن ثمة مركزية تنبثق منها الأخلاق والقيم إدعاء زائف تولد من عجز الإرادة أو فرض الإرادة ليس إلاّ.

حيث يعتبر نيتشه نفسه بمثابة العدمي الأول في أوروبا فهو الذي جرب العدمية وعاشها، وذاق مرارتها، وأحسها واستشعرها في داخله ومن حوله ومن تحته ومن فوقه.

إذ وصل الإنسان الغربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى حالة من الإنكار المطلق، فلم يعد الإنسان يؤمن بشيء، ولا يجد قيمة في أي شأن من شؤون الحياة، والوجود، حيث امتلكه شك قاتل، واضطراب في النفس، وبلبلة في التفكير، وكان الشؤم، وإنكار الحياة هما الطابع الغالب على تفكيره ونظرته في الوجود.[1] فبدأ يبحث عن عالم آخر غير هذا العالم، يعده العالم الحقيقي، لكن يخيل إليه من بعد أنه خدع، فيسلم بالوجود الواقعي، ويصبح هنا أمام خيارين: إما أن يطرح هذا العالم الآخر وراء ظهره بوصفه خرافة، ووهما، وهنا يتبدد أمله ولن يعود شيء ذا قيمة في نظره، أو ينكر الوجود الواقعي.[2]

وفي كلتا الحالتين هو يتجه نحو الإنكار المطلق: الأول إنكار القيم والثاني إنكار قيمة الحياة، وتعود أسباب العدمية* التي لا تخرج عن ثلاث معاني في الخطاب النتشاوي إرادة العدم، انحطاط القيم العليا، التشاؤم، والضجر الكبير، إلى:

1- **النوع الراقي** غير موجود بمعنى النوع الذي يمكن إنتاجه، وقوته اللذان لا ينضب لهمت معين من الحفاظ على الإنسان، والإيمان.

2- **النوع الأدنى** وهم: "القطيع" و"الجماهير"، و"المجتمع"، ينسى التواضع ويضخم رغباته إلى أن يجعل منها قيما كونية وما ورائية، وبهذا تصبح الحياة مبتذلة، دون قيمة، فالجماهير

---

[1]- عبد الرحمان بدوي، نيتشه، ط 5، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975، ص 158.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 157-158.

حينما تحكم فإنها تضطهد الرجال الأقوياء، وهذا يجعلهم يفتقدون الإيمان بأنفسهم، وهذا يدفعهم إلى العدمية.[1]

وحسب نيتشه يمكن التمييز في العدمية بين أربعة أشكال هي:

1- تبخيس قيمة العالم المادي باسم عالم آخر.

2- تبخيس قيمة العالم المثالي وهذا العالم.

3- محاولة للفعل دون أي تبرير مستمد من الإيمان بعالم آخر.

4- إرادة أفول التمرد وهدم البنى القديمة، وإقامة بناءات أخرى.

أمام هذا فالتحدي الأكبر الذي يواجه نيتشه هو القيام بتحويل جذري وكلي للقيم أملا في تأسيس تراتب جديد، وفي ولادة إنسان جديد هو الإنسان الأسمى على أنقاض الإنسان الأخير، وهذا النموذج الجديد الذي يبتغي نيتشه تقديمه للإنسانية لا يتحقق ما لم يتحقق مهمة تحويل القيم الراهنة، على هذه القيم أن تخلي مكانها لقيم الحياة.

ولا يكون تجاوز العدمية حسب نيتشه أإلا بتحويل جذري للقيم تصير بمقتضاه القيم الفاعلة في المرتبة الأعلى، وتستولي على القيم التي بقيت إلى حد الآن بتوجيه قوى الارتكاس والحقد والمثل الأعلى الزهدي (الدين والأخلاق).[2]

وعليه فيكون تحويل العدمية من شكلها اللافعال إلى العدمية في شكلها الفاعل الإيجابي، حتى يصبح الإنسان كائنا يحب الحياة، وهذا ما طرحه نيتشه في مؤلفه "جينيالوجيا الأخلاق" حينما أقر أن الفعل الفلسفي يقوم على القيمة، وعليه فمهمة الفيلسوف هي حلة مشكلة التقييم، ليصبح مقوما للوجود، ليدشن بذلك تراتب قيمي جديد.

وهكذا تتأسس هذه العدمية على نفي القيم العليا المفارقة واستبدالها بقيم (إنسانية مسرفة في إنسانيتها)، حيث يتم إحلال الأخلاق محل الدين، وإحلال قيم الفائدة والتقدم والتاريخ محل

---

[1]- فريديريك نيتشه، إرادة القوة محاولة لقلب كل القيم، تر، محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011، ص ص 25-24.

[2]- عبد الرزاق بلعقروز، نيتشه وسياسة الفلسفة، ص 205.

القيم السماوية، لكن استبدال قيم إنسانية بقيم لاهوتية لا يعني تغييرا في جوهر العدمية، لأن الأمر يتعلق بنفس الحياة الارتكاسية، وبنفس العبودية التي كانت قد فازت تحت هيمنة القيم اللاهوتية، وهي التي تفوز الآن في ظل هيمنة القيم الإنسانية، ربما كنا خطونا الآن خطوة إضافية في صحراء العدمية، فنحن نعتقد أن إدراكنا أصبح يحتضن ويتملك الواقع أكثر مما مضى، ولكننا في الحقيقة لا نحتضن إلا ما تركته القيم العليا البائدة من بقايا القوى الارتكاسية وإرادة العدم.

إن نيتشه ينتهي إلى قتل الإله ميتافيزيقيا لا لشيء إلا لأنه غير جدير بالوجود فالحقيقة التي تبقى ماثلة للعيان هي الحياة، الحياة على الأرض، التي تبقى إحياء قوة الحياة فينا ونستحق كل ماهو ضعيف وإلا يسهم الإنسان نفسه للوصف الديني والأماني التي يفتحها باب الموت حيث يقول "**ألم تسمعوا عن ذلك الشخص الأخرق الذي أشعل فانوسا في وضح النهار وخرج في الساحة العمومية وهو يصرخ دون توقف – إنني أبحث عن إله– إنني أبحث عن إله– ولما كان هناك كثير من أولئك الذين لا يؤمنون بالله فإن صراخه أحدث ضجة، فقال واحد منهم هل يكون قد ضاع؟ هل يكون قد تاه كالطفل؟ تساؤل آخر**

هل اختفى...؟ هل تملكه الخوف منا؟

هل أبحر...؟ هل هاجر...؟؟

هكذا يضحكون ويصرخون، فقفز الرجل الأخرق بين الحاضرين وقال سوف أجيبكم لقد قتلناه....أنتم وأنا"[1].

فكلمة موت الإله تبتعد عن أي مدلول ديني ولا تعني سوى موت كل مثالية تتخذ صورة عالم آخر خلق للإنسان، ولا يعبر هذا الموت إلا عن التحول إلى الإنسان والأرض، كما يعني موت الإله المحافظة على الطابع البطولي في الوجود الإنساني حيث تنقلب المثالية والميتافيزيقا وتنفتح إمكانيات الإنسان بحرية، فموت الإله هو التحرر من روح الثقل والعلو على الميراث

[1]– Freidrich Nietzsche, le Grais Savoir, Aphorisme, Laibrairé générale de France, 1993, p 125.

الميتافيزيقي التقليدي وأخيرا موت الإله يعني العدمية أو السقوط الأخير للحضارة المسيحية في أوروبا وما يتبع ذلك من تمهيد الطريق للفجر الجديد ولإعادة تقويم القيم.[1]

وفي نهاية المطاف يعني موت الإله تحرر الإنسانية، وإمكانية أن تخلق قيمها من جديد وهو حدث يوفر للإنسان "الحديث" إمكانية أن يكون حرا، ذلك يعاب على الإله أنه أخر ولادة الإنسان الأسمى، ومن ثم فإن تحررنا يمر حتما عبر إقصاء الإله، ولن يكون الإنسان حرا إلا إذا مات "الإله" الذي كان يملي عليه قيمه فبدونه يصبح الإنسان دون سيد، وهكذا تتهيأ للإنسانية إمكانية البحث عن طريق جديد، بل هي مطالبة بوضع سنن جديدة بعد أن فقدت القيم قيمتها، فواجب عليها التنقيب عن قيم تتغنى بالحياة، لذلك كانت صرخة نيتشه من خلال فكرة "موت الإله" "**دعوة صريحة للتحرر من قبضة القيم المطلقة التي آمنت بها الإنسانية والتي غربتها ودفعتها للانتحار والوقوع في العدمية**"[2] بمعنى أن الإنسان في العدمية يصل إلى الشعور بأنه مجبر على تجاوز وتخطي هذه الفترة الصعبة، وأن القيم التي كان يقدسها وجب عليه إبطالها، في حال أن العدمية أن يبدع قيم تتماشى وطموحه ورغباته.

فإذا كانت العدمية تهدف إلى تهديم القيم التي كانت تعتنقها الإنسانية، فإن نيتشه يسعى في المقابل إلى تحطيم هذه الأصنام والمقدسات بواسطة مطرقته الهدامة التي "**يشهدها ضد الفلسفة التقليدية والمقدسات ومراده (نيتشه) أن يسحق هذه الأشكال ويفنيها ليفتح دربا جديدا أمام مشروع الوجود الخلاق**"[3].

ومعنى هذا أن العدمية عند نيتشه هي عبارة عن اندثار وأفول القيم التي سادت أوروبا في العصر الحديث، لدلك كانت دعوة نيتشه طبعا من خلال منهجه الجينيالوجي، يهدف إلى اجتثاث هذه القيم من جذورها والتي كانت سببا في سقوط الإنسان الغربي الحديث في العدمية، وكان لازما زوالها ما دامت لا تخدم مطالب الإنسان.

---

[1]– صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريديريك نيتشه، ص ص 364–365.

[2]– سالم بيطار، اغتراب الإنسان وحريته، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 2001، ص 79.

[3]– اويغن فنك، نيتشه، ص ص 142–143.

المبحث الثاني: إرادة القوة كمبدأ لتأسيس أخلاق جديدة

أ/-مفهوم إرادة القوة:

تعد إرادة القوة من المفاهيم المفتاحية في الطرح النيتشوي والتي تظهر في جل مؤلفاته، حتى انتهى إلى تأليف كتاب يحمل عنوان "إرادة القوة"la volonte de puissance.

حيث ارتبط مصطلح القوة في "إنسان مفرط في إنسانيته" بالظواهر النفسية، فكانت عند نيتشه بمثابة أساس، أو مفتاح تفسير أنواع السلوك، فربطه أيضا بمسائل المعرفة، بالإضافة إلى ما يكنه من إيحاءات في كتابه "العلم المرح" التي ستحمل فيما بعد اسم العود الأبدي وإرادة القوة.[1]

أما في مؤلفه "هكذا تكلم زرادشت" هو الذي سيطرح فيه نيتشه المصطلح ويجعله مركزا لفلسفته، بل بمثابة قانون حاضر في كل شيء حي، ويبقى كتاب إرادة القوة هو الآخر يلخص المذهب النيتشوي في إرادة القوة، إذ أبرز تجلياتها في الطبيعة، في المعرفة، المجتمع، ...الخ.

وهذه المحاولة كانت تسعى إلى إحداث فاصل معرفي دلالي بين مفهوم إرادة القوة والمفاهيم الكلاسيكية التي سعت لإقامة تأويل ميتافيزيقي باسم فلسفة الإرادة، سواء عند كانط، هيجل أو شوبنهاور.

ولإدراك فحوى هذا المفهوم المركزي لا بد من طرح التساؤل حول:

ما معنى إرادة القوة؟ وكيف يقوم الوجود على أساسها، وما مجالاتها؟

وصف نيتشه إرادة القوة أنها جوهر الوجود: أو الجوهر الأعمق للوجود وفي الجزء الثاني من هكذا تكلم زرادشت، في خطابه زفه هذا الأخير للحكماء قال: "**تساءلت عن علة الأمور، وعن القوة التي ترغم الحي على الانقياد والتحكم، فتجعله خاضعا حتى إذا حكم، ولعليَ**

[1]- صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديد لقراءة فريديريك نيتشه، ص 269.

توصلت إلى سير قلب الحياة إلى الصميم، فأصغوا إلى قولي أيها الحكماء: لقد تيقنت وجود إرادة القوة في كل حي"[1].

فلما كانت الحياة لا تستطيع تحيى إلا على حساب حياة أخرى على هذه الأرض بحكم أنها نمو ورغبة في الاقتناء، فهي بحاجة إلى شيء آخر خارجها كي تتحقق، فكأن الحياة إذن إرادة سطو على الآخرين، طابعها المميز هو الاستغلال، والاغتصاب والهدم والإفناء، لكن هذا الإفناء والاستيلاء لا يمكن أن يتم دون مقاومة من أنواع الحياة الأخرى التي تصطدم بها، لهذا السبب فقط اعتبر نيتشه الحياة كفاحا دائما".[2]

بالإضافة إلى ذلك ، فالحياة تحت سلطات إرادة القوة، لا تحيى على حساب الآخرين فحسب، بل ينبغي لها أن تنتصر على نفسها بأن تطرح من ذاتها شيء يريد أن يفنى ويموت، ويقول في "هكذا تكلم زرادشت" " **لقد أودعتني الحياة سرها قائلة: لقد تحتم عليّ أن أتفوق على ذاتي**"[3] فالحاجة إلى الارتقاء والتفوق هي من يجعل الإنسان ينشد الخطر ويلح في طلبه ليجني ما هو أسمى فيه، فإرادة القوة تتطلب الآلام والعوائق، التي تدفعها نحو الكفاح، وهذا ما عبر عنه زرادشت في قوله " **إن إرادة القوة كامنة حتى في مجال التضحية والخدمة المتبادلة، وبين نظرات العاشقين، لذلك يتوجه الأضعف إلى السبل الملتوية قاصدا اجتياز الحصن والتربع في قلب الأقوى مستوليا على قوته**"[4] ويعبر زرادشت على هذه الصورة قائلا: " **لقد وجب علي أن أكون الجهاد والمستقبل والهدف، وأن أكون في الوقت نفسه الحائل الذي يعترضني في انطلاقي إلى هدفي لذلك لا يعرف الإنسان الطريق المتعرجة إن عليه أن يسلكها إذا هو لم يدرك حقيقة إرادتي**"[5].

---

[1]– فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 144.

[2]– المصدر نفسه ، ص 145.

[3]– فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت ، ص 128.

[4]– المصدر نفسه، ص 143.

[5]– فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت ، ص ص 143-144.

وعلى أساس هذا العرض نتساءل عن الطرح أو التصور الميتافيزيقي لإرادة القوة، عند الفلاسفة السابقين، وفي الوقت ذاته عن التصور النيتشوي لها أيضا، وهل كان التصور نفسه أم كان مختلفا، على الرغم من تناول هذه الفكرة في العصر نفسه؟

علينا أن نعرج أولا عن التصور الكلاسيكي لإرادة القوة عند سقراط مثلا، فهو يرى أن إرادة القوة بمثابة علة الأفعال الخيرة التي تحكمها المعرفة، والإنسان الخير هو دائما يتحرك ويفعل باسم إرادته العاقلة لا باسم أهواء جسده.

أما في التصور الديكارتي، تزهر الإرادة في "التأمل الرابع" بمثابة أعظم وأسمى ما يملكه الكائن الإنساني، من خصائصها أنها قدرة لا متناهية تعمل على الإثبات والنفي، مكملة للعقل وتحدد مصير الشيء إما بالرفض أو القبول.

هذه الصورة الخاصة بديكارت، ستظهر بمقولات أخرى ديكارتية عند إيمانويل كانط فهو بعد أن أثبت في "نقد العقل الخالص" أن العقل التجريبي ليس له إلا أن يقع في تناقضات إذا ما حاول سيركنه الأشياء في ذاتها، عاد ليؤكد في نقد العقل العلمي" أن الإنسان يملك عقلا عمليا هو الإرادة، ثم قسم هذا المبدأ إلى قسمين هما:

- **الإرادة الخيرة:** كجوهرة من دون ترصيع تسعى لفعل الخير دون النظر إلى النتائج بمعنى أنها تتعلق دوما بأوامر العقل وتتقبلها بطيب خاطر.
- **الإرادة الشريرة:** هي تلك التي تتقبل أوامر العقل، ولكنها لا تعمل بها لوقوعها فريسة الأهواء والرغبات الذاتية، ولدواعي الجسد.

أما الإرادة عند هيجل فقد حملت معاني أخرى، إذ أصبحت مرادفة للمفهوم المجرد الصوري، وأساس حركة الروح الديكارتية عبر مراحل ثلاث: مرحلة الروح الذاتي، مرحلة الروح الموضوعي، وأخيرا مرحلة الروح المطلق، حيث تتصالح اللحظتان (القضية والنقيض).

أما عند شوبنهاور ممثل الإرادوية Volontarisme، فهي أساس الأشياء وجوهر العالم، ومبدأ أصيل لا يمكن الإنسان فحسب، بل في كل حي في الطبيعة، وهي بمثابة شيء في ذاته.[1]

ومن خلال هذا العرض توصلنا إلى أنه لا وجود للإرادة بالمفهوم الميتافيزيقي معناه تأكيد من لدن الفيلسوف على انعدام مركز ثابت ونهائي تتكاثف حوله الظواهر لأن هذا المركز من صفاته أن يتغير دائما، ولا يمكن الإمساك به، فحقيقته أنه مجرد رغبات لا واعية متعددة تدخل في صراع، تارة هي من تفرض نفسها وسطوتها، وتارة أخرى تكون تابعة.

وفي توضيح خصه دولوز للجهاز المفاهيمي النيتشوي، ذهب إلى أن هذا الأخير يستخدم تعابير جديدة ومفاهيم دقيقة وجديدة أيضا وهي:

1- **إرادة القوة عند نيتشه عنصر نسابي:** بمعنى تفاضلي وتعاقبي، ويقصد بالعنصر التفاضلي في القوة خلق الفروقات الكمية بين قوتين أو قوى متعددة تكون في علاقة مع بعضها البعض، وهذه العلاقة تخلو من صفة القصدية بل الصدفة وحدها من تحكما باسم إرادة القوة المثبتة لها.[2]

هذا التفاصل هو يؤسس تاريخ التراتبات القيمية وتتساءل عن الكيفية تظهر وتختفي وتتناوب[3] .

إن إرادة القوة نسابي ينتج الفرق في كمية القوى، ووفقا للفرق في كمية هذه القوى نستطيع تحديد نوعها، فهي إما فاعلة أو إرتكاسية، معنى ذلك أن هناك إرادة قوة في القوى الارتكاسية مثلما توجد في القوى الفاعلة.

---

[1]- جورج زيناتي، رحلات داخل الفلسفة الغربية، ط 1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1989، ص ص 64-70.

[2]- محمد أندلسي، نيتشه وسياسة الفلسفة، ص 140.

[3]- جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، ص ص 70-71.

2- **إرادة القوة هي عامل تفسير وتقويم:** ذلك بما تتمتع به من صفات مائعة أولية منوية تجعلها تتعلق بالعنصر التعاقبي النسابي، وهو الأمر الذي يستدعي –حسب دولوز– الحذر ثم الحذر من الدلالات التي يمنحها نيتشه لمصطلحاته، ففاعل وارتكاسي يدلان حسب نيتشه على الصفات الأصلية الخاصة بالقوة في حين أن إثباتي وناف يدلان على الصفات الأولية لإرادة القوة فالنفي والإثبات التقدير وبخس التقدير، كلها تعبر عن إرادة القوة مثلما يعبر الفعل ورد الفعل عن القوة.[1]

والتفسير بالتالي هو نوع من النمذجة التي تقوم على تصنيف وترتيب القوى إلى نماذج وكيفيات، أما فاعلة أو منفعلة وفق معطيات بيولوجية، سيكولوجية، اجتماعية وثقافية...الخ أما التقويم أو الخطوة التالية، فهو يعني أنها لا تترك القيم نفسها، ولا تترك معنى نفسه دون أن تط بق عليه المنهج الجينيالوجي والتقويم هذا يتم –حسب نيتشه– باعتماد معيار خارج قيم الخير والشر، الصدق والكذب، بل يستبدلها بمعيار الجسد أو الحياة.[2]

3- **إرادة القوة عامل منظوري:** فمن خلال ما سبق يؤكد نيتشه أن إرادة القوة هي من تعبر عن عالم الأشياء بوصفها بناء تفسيريا يدحض في الوقت نفسه مواقف القائلين بإمكانية فهم عقلي لواقع قائم بذاته، هذه المنظورية تعني هدم كهف التأويل الميتافيزيقي الفارغ، وإقامة مشروع تأويلي على السطح، يرفض التمركز حول مقولات الذات ومفاهيم الميتافيزيقا، ونفي إمكانية قيام نظرية معرفة بالمفهوم الكلاسيكي، والسبب في اعتقاد نيتشه، إنما هو طبيعة العالم الذي هو بمثابة نص يحوز على قدرات فائقة للمراوغة، ويحتم على قارئه أن يعلم منذ البداية أن النتائج التي قد يتوصل إليها ليست سوى وهم ناتج عن حركة عبثيو قامت بها إرادة القوة في شكل مغامرة ابستيمولوجية.

---

[1]– جيل دولوز، نيتشه والفلسفة ، ص ص 70–71.

[2]– محمد أندلسي، نيتشه وسياسة الفلسفة، ص 159.

فالعالم قائم على إرادة القوة –يقول نيتشه– يتمتع بتعددية لا متناهية، وتفسيره بشكل أحادي لن يكون ممكنا لأن الفكر الإنساني لن يفعل شيء بعد هذا التحليل عيران يرى نفسه في أشكاله المنظورية، وما يعني أن كل تفسير سيكون فقط تفسيرا إنسانيا لا أقل ولا أكثر.[1]

4- **إرادة القوة عامل تعددي:** إنها كانت غير محددة أصلا، تظهر كتعددية شواصتية قادرة على أخذ الأشياء وليس كل الأقنعة، ولما نقول شواص chaos فهذا الأصل يأتي أساسا من اللانظام ومن التعددية في الأهواء التي تشكل أفقا كاملا من القوى ، تسعى إلى رسم منظورات مختلفة للعالم، كما نقول شواص، فإن المسألة تظهر وكأنه نوع من السقوط، ولحظة انهيار القيم، فيصبح الأمر أشبه بالعودة إلى الصفر في إرادة القوة، وهو بالتأكيد ما يحرضها ويجعلها تكافح وتتفوق.[2] هذه التعددية التي تحكم مبدأ إرادة القوة لا يعني أنها تعمل دوما على التشتيت والبعثرة، بل عنصر تأليف للمتنوع، وأساس محايد يدخل في مع الوسط الغير المحايد، ومن ثمة يعيد إنتاجه كمتنوع مختلف مخالف من جديد وإرادة القوة في نظر نيتشه تؤلف طبيعة الموجود وينبغي أن لا تفهم الطبيعة بمعنى الهيئة فهي تدل بالأحرى غلى الطبيعة، فتعني إذن الحركية في الموجود إن كل موجود إرادة قوة.[3]

ب)-إرادة القوة ومجالاتها:

يؤكد نيتشه في أغلب مؤلفاته أن إرادة القوة هي الجوهر الذي يسكن العالم في كل مظاهره وتناول في مؤلفه "إرادة القوة" هذا المفهوم بعناية أكبر، ليصل إلى نتيجة مفادها أن هذه الظاهرة الواقعة الأخيرة التي ينجل إليها كل تحليل وينتهي إذ تمس مجموع الظواهر في العالم فهي ليست معنى مطلقا ، بل متعدد ديناميكي يتجلى في مظاهر الطبيعة وفي فعالية المعرفة، مثلما نجده في المجتمع...الخ.

1- إرادة القوة في الطبيعة: يرى نيتشه أن الطبيعة قد فسرت تفسيرا خاطئا بعيدا عن التعبير عن حقيقتها فالتأويل الميكانيكي للطبيعة غير قادر على إدراك ما هو أساسي في الحياة

---

[1]- فريديريك نيتشه، العلم المرح، ص 242.

[2]- Yvon Belaval et d'autres Histaire de la philosophie, du science à nos jours, p 319.

[3]- أويغن فنك، فلسفة نيتشه، ص 96.

بما هو إرادة قوة، غير أن القانون الذي يحكمنا هو قانون إرادة القوة السائدة في كل مظهر من مظاهرها وبذلك يرى نيتشه أن القوانين العلمية ما هي إلا محاولة اختزال الطبيعة في مفاهيم عقلية منطقية، غير أن هذه القوانين لا تبين في حقيقة الأمر، سوى علاقة بين قوتين أو أكثر ونحتاج فيها إلى الصيغ الرياضية لتحقيق السيطرة على الظواهر الفيزيائية، لذا يتهم نيتشه الفيزيائيين[1] في العصر الحديث بتسويتهم للطبيعة بواسطة تأويل خاطئ لأحداث، يعارضهم بتأويل ديناميكي خاص، ويقول فيما وراء الخير والشر متحدثا عن الديمقراطية الماكر وكرسمية " **لا تؤاخذوني لأنني ، وأنا فيلولوجي عتيق،... لكن قانونية الطبيعة التي تتحدثون عنها بكل فخر...لا تقوم إلا بفعل تأويلكم ورداءتكم في الفيلولوجيا فهي ليست بواقعة ولا بنص، بل بالأحرى مجرد تدبير إنساني ساذج وقلب للمعاني، بها تراعون الفطر الديمقراطية للنفس الحديثة**"[2].

إن نيتشه يسمعنا من جديد، في محاولته لسرد تاريخ زرادشت، في كتابه هو ذا الإنسان كيف يتحدث زرادشت مع نفسه بصوت إلهي وصفاء زمردي لقد ألحق نيتشه بهذا النص نصا آخر لا يقل في مغزاه على الأول ويقدم فيه زرادشت باعتباره أحسن مثال على الطبيعة الألكيونية، ولذلك فهو يحس بأنه الصورة العليا لكل ما هو "موجود".

كما أن النظرة الباطنية للعالم تكشف لنا عن وجود ضرورة في كل نقطة من نقاط العالم أي في كل تبدلات أو تركيبات القوى، وهذه الضرورة هي إرادة القوة يقول "إن الإرادة الوحيدة الملازمة لكل حدث هي إرادة القوة".[3]

2- **إرادة القوة في المعرفة:** نيتشه يبرز إرادة القوة في فعالية المعرفة، كما أنها مشروطة بها ويتضح ذلك حسب أويغن فنك بواسطة حدس فلسفي يختلف عن أية معرفة للوجود، وينجم هذا الحدس عن انفتاح على جريان الصيرورة وعلى حياة بانية وهادمة على إرادة

---

[1]- يقول نيتشه أن الفيزيائيين يؤمنون بعالم الحقيقة حيث يشكلون نظام ثابت لكل الكائنات راجع،

Friedrich Nietzsche, la volonté de Puissance trad. Henri Albert, Tome, p 300.

[2] - Friedrich Nietzsche, par de la le bien et le mal, p p 55-56.

[3]- بيير مونتيبيلو، نيتشه وإرادة القوة، تر، جمال مفرج، ط 1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010، ص ص 119-121.

القوة[1]، لهذا يرى أن مقياس الرغبة في المعرفة يعتمد على قوة "إرادة القوة" التي تجعل الموجود في متناول التفكير، كما أن بناء المعرفة ليس العالم الخارجي، من ينسخ صورته في الإنسان بل هو الإنسان الذي بواسطته إرادة قوته من يفرض شكلا للعالم، يتوافق مع منظوره الخاص كما أن معرفة العالم الخارجي ، ليس اكتشاف لحقيقة توجد في ذاتها، بل هي إرادة القوة التي يمارسها الإنسان الكائن العارف لخلق الأشكال[2] وهكذا فإن نيتشه يقطع مع الفلسفات التقليدية التي تجعل من المعرفة عملية خالصة للفكر ومن الحقيقة تطابقية تامة لمبادئ العقل، فالحقيقة في رأيه ليست موجودة بل لا بد من خلقها .

3- **إرادة القوة في المجتمع:** يلح نيتشه في كل كتبه على أن الحياة حركة، ذلك أن اللاحركة هي الموت ولتوجد حركة يجب أن توجد مستويات من القوة، تثير بعضها البعض وتتصارع من أجل نيل امتيازات مختلفة، فلتحريك التوربين في نهر من ماء وإنتاج طاقة يشترط أن يكون مستوى الانحدار كاف جدا لضمان نجاح العملية.[3] هذه الصورة تنطبق بشكل عام على المجتمعات الإنسانية لتؤكد خطأ الإقرار بالعدالة وخطأ جعل الناس في مستوى واحد يقول نيتشه فيما "وراء الخير والشر" مؤكد على استحالة إيحاء بناء اجتماعي من تراتيبة* " **إن الامتناع عن العنف والانتهاك والاستغلال المتبادل، والمساواة بين إرادة الذات وإرادة الآخر يمكن أن يصبح من مكارم الأخلاق بين أفراد إذا ما توفرت الشروط لذلك، كالتماثل الفعلي في مقدار القوة ومقياسها وتراحمهم في جسد واحد، لكن ما إن يؤخذ على نطاق أوسع باعتباره مبدأ أساسيا في المجتمع حتى يتبين ما هو عليه**"[4]

---

[1]- اويغن فنك، فلسفة نيتشه، ص 194

[2]- Yon Belaval et d'autre, Histoire de la philosphie, p 319.

[3]- Louis Garman, Nietzsche Psychologue, des prafordeurs, p 130.

*- تراتبية كرؤية فلسفية (الوجود والقيم المعرفة) فهو تصور غير علمي لكنه يعد جوهريا ومع ق م عند نيتشه تعني انتصار القوى الارتكاسية (أنظر جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، ص 80).

[4] - Friedrich Nietzsche, Par de la le bien et le mal p p 264-265.

إذ يصبح إرادة نفي الحياة ومبدأ انحلال وانحطاط ويؤكد هذا بقوله " **إن الحياة هي ها هو استيلاء وانتهاك وغلب للغريب والضعيف، وقمع وقسوة وفرض للأشكال الخاصة، وفي أرحم الحالات نجدها استغلال**"[1]. ومن المفاهيم المعبرة عن إرادة القوة نجد (استغلال، صراع، سيطرة، طغيان) وعلى الرغم من سمعتها السيئة إلا أنها حاضرة –حسب نيتشه– في المجتمع في الإنسان بل هو الإنسان الذي بواسطته إرادة قوته، من يفرض شكلا للعالم.

كما أن معرفة العالم الخارجي ليس اكتشافا لحقيقة توجد في ذاتها وستصبح من هنا مستقلة عن الكائن العارف، بل إرادة القوة تمارسها الإنسان العارف لحلق وفرض أشكال معينة على الواقع[2]. من خلال أدوات المعرفة من أجل السيطرة وتحقيق السيادة.

ج)–من إرادة الحياة إلى إرادة القوة:

لقد حدد نيتشه مفهوم إرادة القوة كما رأينا سابقا، في شكلها الأولي بأنها العنصر الذي يجمع بين العديد من القوى ويوحدها، وعليه فإنه ليس بمقدورنا قياس قوة بأنها كذلك إلا من خلال مجابهتها بقوة أخوى بحيث تستمد هذه القوة ماهيتها من تنوعها واختلافها، ومن هنا صرح نيتشه بهذه الفكرة على لسان نبيه زرادشت أن الحياة عبارة عن كفاح وصراع وحرب تقتضي إرادة القوة والنمو والسيطرة " **إن الحياة في حد ذاتها هي بالدرجة الأولى تملك وعدوان وإذلال لكل ما هو غريب وضعيف، وهي اضطهاد وصلابة وقسوة لما يريد المرء أن يفرضه كأشكال خاصة به إنها تجسيد وإنما هي على الأقل استغلال**"[3] وإلى جانب أن الحياة عند نيتشه صراع وقسوة فإن محركها هي إرادة القوة، فالإرادة هي الجسد الذي بواسطته يمكننا التوغل في أعماق ذواتنا ومعرفة قيمتها الخفية فالإرادة إذن من منظور الجسد تعبير عن غرائز الحياة الطافحة بالصراعات والمغامرات إن هذا الطرح لمفهوم الحياة وإرادة القوة القائم على تكريس العنف

---

[1]– Freidrich Nietzsche, par de la le bien et le mal, P 265.

[2] – Louis Garman, Nietzsche Psychologue,des profondeur p 129.

[3] –Freidrich Nietzsche, par de la le bien et le mal, p 322.

والسيطرة والسيادة والرفض لمبادئ السلم والرضوخ والشفقة نقد صريح موجه ضد شوبنهاور وتصوره للعالم كإرادة وتمثل ومجمل القيم الناتجة عن هذا الفهم، لذلك كان شوبنهاور في نظر نيتشه علامة بارزة للانحطاط ومرض للفلسفة، إنه رمز للتشاؤم وللعدمية، ولقد كان " **مصير فلسفة شوبنهاور شبيهة بفلسفة تحبذ الحياة الحقة (العالم المثالي) وتميل نحو الانطفاء والفناء لقد كانت فلسفته تنتمي إلى عصر فقد أسباب وجوده**"[1] كانت نظرته إلى العالم كإرادة، وأن سر هذا الوجود يكمن في مفهوم الإرادة فالظواهر برأيه جميعا ليست سوى تموضعات للإرادة الواحدة التي هي جوهر العالم باعتبار أنه الشيء في ذاته غير قابل للمعرفة[2] فبهذه الإرادة تمثل دافع أعمى ولا عقل "تجوز عليه، إنها لا تتوقف أبدا وإنما تعمل وتجتهد باستمرار لاكتساب شكل ما، وبما أنها لا تصادف إلا نفسها في جهدها للتشكل فإنها بذلك تكون في صراع دائم مع ذاتها، ونفور من هذا الوجود إذ يصير بدون هدف وبالتالي، كان من الواجب القضاء على هذه الإرادة التي تؤدي إلى الفناء والتي أيضا هي مصدر الآلام. ينظر شوبنهاور إلى الإرادة على أساس أنها روح الحياة وجوهر العالم إلا أن هذه الإرادة التي تتطلع دائما نحو إشباع رغبتها غير قادرة على تحقيق هذا المسعى المتمثل في إرضاء لشهواتها لكون هذه الأخيرة هي المحرك الأساسي للوجود بحيث يستحيل وجود شيء آخر خارجها بإمكانه أن يحقق رغباتها المتجددة بصفة دائمة لذلك كان من الضروري عدم هذه الإرادة المكافئة للحياة، وهي مصدر الشرور والآلام وعليه وجب نبذ هذه الإرادة التي تعني الحياة.

يمكننا القول إذن أن العالم لدى شوبنهاور عبارة عن تمثلات للإرادة وهذه الأخيرة التي هي سبب المعاناة الناتجة عن هذه الإرادة العمياء وكان عليه أن يحبذ مفاهيم الشفقة والرأفة التي

---

[1]– Sarah Kofmane, Nietzsche et la scéne philosophique France, Union générale d'édition, Paris, 1979, p 45.

[2] – Peter Runzumen et autres, Atlas de la philosophie librairie générale Française, Paris, 1999, p 113.

من شأنها أن تقلل من حدة الآلام والتي تهدف في النهاية إلى التعاطف فيما بيننا ويضيف قائلا " **بلا ريب الفضيلة ليست نتاج طبيعي ولا أثر تربوي، ولكن هي عندما يكسب الإنسان هذه السعادة من طرف الخالق**"[1]. وإذا لم نتمكن من التخلص نهائيا من الآلام المنجرة عن مبدأ إرادة الحياة العمياء عن طريق الأخلاق، كان من الواجب علينا إنكارها (إرادة الحياة) لأنها لم تسمح له أن يثبت إرادته في الحياة وكانت النتيجة آلام ومعاناة، هذا هو عين الخطأ الذي وقع فيه شوبنهاور في نظر نيتشه والذي جعل الوجود (الحياة) غاية خارجة عنه بمعنى حين راح يطلب للحياة وجود آخر غير الذي نحن فيه[2] فالخطأ الذي ارتكبه يتمثل برأي نيتشه في إعدام هذه الحياة بقوى ما ورائية متعالية عن الوجود لذلك يقول نيتشه " **الخطأ من العادات البشرية الأكثر قدما والأكثر معاصرة، بل هو مقدس لدينا ويحمل اسم الدين والأخلاق**"[3].

لقد حاول نيتشه من خلال نقده لشوبنهاور أن يتغلب على النزعة التشاؤمية المسيطرة على فكره، فهو يريد أن يوجب قيمة الحياة وأن يقول لها "نعم" بدلا من نفيها والحط من قيمتها كما فعل شوبنهاور فهذا الأخير لم يكن قويا بالدرجة التي يقول "نعم" جديدة للحياة بموجبها أكثر قوة.

وعليه فشعار الإرادة عند نيتشه هو القوة والسيطرة والزيادة والنمو، فهي لا تقبل الخوف والفشل، إنها معادية لمعاني الفناء والزوال والاضمحلال، ويعتبر نيتشه هذا الخلاص المتمثل في إعدام للحياة عند شوبنهاور لا يمثل الوجود، فالحقيقة شيء آخر غير ما ادعته تشاؤمية شوبنهاور، وعليه فإن تصور نيتشه للوجود مبني على أسس تطورية لقوله " **فما كان مستعصيا تحقيقه في درجة معينة كان من الممكن تجسيده بإرادة القوة وبهذا تصبح الحياة أكثر امتلاءا وخصوبة، فهذا النزوع بين الدرجات يوفر للحياة الانتقال والنمو والسمو وهذا التطور يحكم**

---

[1]– Arthur Schopenhauer, le fondement de la morale, trad. A, Burdeau, France, Paris, 1925 pp122-139.

[2]– عبد الرحمان بدوي، نيتشه، ص 223.

[3]– فريديريك نيتشه، أفول الأصنام، ص 44.

منطق صيرورة إرادة القوة، ولكن هل معنى ذلك أن نيتشه تصور الوجود على أسس تطورية ومبادئ إرادة القوة التي تضفي على الوجود طابع البقاء؟

يجيب نيتشه قائلا " **فيما يخص مقولة الصراع من أجل الحياة المشهورة فإنها تبدو لي حتى الآن منادى بها أكثر مما هي مبرهن عليها وحتى إن اعترفنا أن الصراع يحدث فعلا وأنه فعلا يحدث أحيانا، فإن نهايته معاكسة لتلك التي تتمناها مدرسة داروين**"[1] إن غاية الحياة عند نيتشه هي تجسيد إرادة القوة التي تحبذ الحروب والصراعات لا من أجل البقاء كما ذهبت إليه الدارونية، لأنها تشترط أن لا بقاء إلا للأقوياء كما يدعي (داروين) فكرة يرفضها نيتشه وفضا قاطعا لأنها برأيه تحفز الضعاف والرعاع الذين يتحالفون فيما بينهم بحيث يشكلون قوة كما أن هذه المسألة التي تخدم بقدر أكبر الضعفاء، بحيث يخلص هذا الصراع الذي تتكلم عنه الدارونية إلى نجاح الأكثرية من العوام على الأسياد.

ولعل ذلك يمكن ملاحظته في أرض الواقع، فهو أمر تجسد عمليا في الفترة الحديثة مع الثورة الفرنسية حيث أصبحت الأخلاق الأوروبية وكل قيمها قائمة على أساس منفعة الطبقة العامة من الشعب والتي تنادي بالمساواة، بحيث لم تسمح للأقوياء أن يستخدموا قوتهم، إذ أنزل بهم إلى مستوى وضيع عامة الشعب (الضعاف)[2] وهكذا اضمحلت واندثرت قيم السادة (الأقوياء) وفقدت الحياة قيمتها عندما بدأ الإنسان الأوروبي يبحث عن السعادة، والسعي وراء التقدم وتحقيق قيم المساواة، وتخلى الناس عن أخلاق العظمة والبطولة والقوة بحيث تم استبدال هذه القيم بمبادئ العدالة والمساواة، لذا يرفض نيتشه هذه القيم التي تتغنى اللطف والشفقة والعدالة واصفا الأوروبي العامي في العصور الحديثة بالمبتذل والحقير.

وبهذا يمكننا القول بأن كلا التصورين (شوبنهاور وداروين) لا يمتان صلة مع مفهوم إرادة القوة عند نيتشه، فالأول يعدم الحياة ويجعلها جحيم وجب الخلاص منه من خلال فكرة

[1] – فريديريك نيتشه، أفول الأصنام، ص 90.

[2] – المصدر نفسه، ص 90.

الانتحار، أما الثاني –داروين– فيحبذ الأكثرية من العوام ويقدس قيمها المنحطة ويدوس على حقوق الأقلية من السادة، في حين أن الحياة ما هي إلا إرادة قوة.

د)– نيتشه من أجل أخلاق القوة:

اتخذ نيتشه "إرادة القوة" مبدأ لسن قيم جديدة فبعد أن هدم بمطرقته عالم القيم التقليدي أشاء عالم التقويم الجديد وفقا لمعيار الحياة التي هي في النهاية "إرادة قوة"[1] فإرادة القوة هي المصدر الرئيسي لكل القيم الممكنة، وحتى القيم النافية للحياة أما نيتشه فهو يريد أن يقول "نعم جديدة" توجب هذه الحياة وتؤكد على قيمتها وتدعو في الوقت ذاته إلى بناء قيم أخلاقية عليا فإن مبدأ إرادة القوة هو الأساس الذي يجب أن تقوم عليه الأخلاق الحقة، ذلك لأنها المجدد الرئيسي لقيمتي الخير والشر والعنصر الوحيد الذي بإمكانه أن يفصل بين أخلاق السادة وأخلاق العبيد، "**هناك في تاريخ الشعوب أخلاقية للسادة وأخلاقية للعبيد**".[2]

لكن قبل الحديث عن أخلاقية السادة وأخلاقية العبيد، كان علينا أولا أن نبين كيف تحدد إرادة القوة قيمتي الخير والشر؟ وكيف يكشف المنهاج الجينيالوجي عن القوى الخفية التي تكمن وراءها هاتين القيمتين؟

يحاول نيتشه أن يقدم لنا في مؤلفه أصل الأخلاق وفصلها ، قراءة جينيالوجية لتاريخ الأخلاق يهدف من خلالها إلى إحداث قلب في القيم وآليات التقويم، وذلك عن طريق القيام بتحليل جينيالوجي لمسار وتطور الأخلاق هذا من جهة ومن جهة أخرى تهدف الجينيالوجيا إلى تحرير الأخلاق من القراءة الإنجليزية وفرضياتها وهي قراءة صار بموجبها تاريخ الأخلاق عبارة عن تاريخ فرضي مؤسس كله على افتراضات فارغة لذا يقول: " **فما هو السبب الحقيقي الذي يدفع النفسانيين (الإنجليز) دائما في هذا الاتجاه يا ترى؟ هل هو ضرب من غريزة خفية تجهد لتصغير شأن الإنسان، ولا تجرؤ ربما على تسليح نفسها؟ أم لعلها شبهة متشائمة وحذر**

[1]– أويغن فنك، فلسفة نيتشه، ص ص 192–193.

[2]– Nietzsche, par de la le bien et le mal, p 324.

تجاه المثالي (الخائب، المتهجم) انقلب إلى حقد وخبث؟ أم أنها عداء بسيط منحط تجاه المسيحية (أفلاطون) أو ضغينة لم تتجاوز عتبة الوعي بعد؟"[1].

ولعل هؤلاء النفسانيين الإنجليز الذين قدموا تفسير للأخلاق والذي انتقدهم نيتشه في ذلك يتمثلون في كل من جون سيتوارث ميل* و هربرت سبنسر** ،[2] وقبل أن ينتقدهم كان في مرحلة سابقة في مؤلفه هذا قد أشاء عاليا بالإنجازات والأعمال التي قام بها علماء الأخلاق الإنجليز هؤلاء، اعتبر أبحاثهم تحت الصدارة مقارنة بالبحوث والدراسات الأخلاقية التي أنجزت بكل من ألمانيا وفرنسا حيث يقول " **هؤلاء النفسانيون الإنجليز الذين ندين لهم بالمحاولات الوحيدة التي بذلك حتى الآن من أجل إسناد تاريخ لأصول الأخلاق يطرحون علينا بشخصهم لغزا لا يستهان به وأنا أقرأ من هنا بالذات أن لهم بوضعهم ألغازا من لحم ودم أفضلية رئيسية على كتبهم، هي أنهم هم شخصيا مثيرون للاهتمام**"[3].

وتتمثل أبحاثهم في:

1- أنها تهدف إلى تجاوز الطابع النظري التجريدي والميتافيزيقي التي كانت تقوم عليها الأخلاق.

2- تأسيسها على ركائز علمية تحررها من الأحكام الدينية المسبقة يوضع محلها مبادئ تفسيرية أكثر وضوحا.

3- كما نجد أن هؤلاء –في نظر نيتشه– قاموا بأول محاولة للتشكيك في تاريخ أصول الأخلاق وذلك باستعمال منهج علمي تطوري شبيه بالمنهج الجينيالوجي الذي يهدف إلى كشف القناع عن المنطقة المخجلة من عالمنا الداخلي.

---

[1]– فريديريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، ص 21.

*– جون سيتوارت ميل (Jon Stuart Mill) (1806) هو فيلسوف واقتصادي من مؤلفاته،مبادئ الإقتصاد السياسي

**- هربرت سبنسر Herbert spencer) (1820-1903) هوفيلسوف بريطاني من مؤلفاته، الرجل ضد الدولة.

[2]– عبد الرحمان بدري، نيتشه، ص 170.

[3]– فريديريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، ص 21.

وعلى الرغم من اعتراف نيتشه بقوة أبحاث هؤلاء الفلاسفة في مجال الأخلاق وذلك بالكشف عن الخداع والنفاق الذي تمارسه المثل العليا التي عبر عنها الفكر الغربي من خلال التيارات الفلسفية الميتافيزيقية والدينية التي عرفها منذ فجر التاريخ حيث تم الكشف عن كل هذا بتوضيح الدوافع الحقيقية لأفعال الإنسان المتمثلة في العادة والنسيان والمنفعة.

" **فهم يقرون (علماء النفس الإنجليز) أن الأفعال غير الأنانية التي بالأصل محدودة ومعروفة بأنها طيبة من قبل الذين تعود عليهم بالخير والصلاح، ومن قبل الذين كانت نافعة لهم ما لبث الناس فيما بعد أن نسوا أصل هذا المديح وأخذوا يرون ببساطته إلى الأفعال التي تخلوا من الأنانية أفعال طيبة لأنهم جروا بكم العادة على امتدادها دائما على هذا النحو كما لو كانت طيبة بحد ذاتها**"[1].

إلى جانب ذلك يؤاخذ نيتشه فلاسفة الإنجليز في ثلاثة نقاط وهي:

1- على عدم سيرهم بأبحاثهم إلى مداها الأقصى حتى تكتسب دلالتها التاريخية.

2- وينتقد نزعتهم الوضعية التي تقوم على إخضاع الأخلاق للفحص المجهري.

3- كما يسخر على إرادة الحقيقة لديهم وافتقارهم للحس التاريخي ووقوعهم في فخ الأحكام المسبقة وإرجاع القيم الأخلاقية إلى وقائع صغيرة وجزئية "...**إن هؤلاء ليسوا سوى ضفادع لزجة متقدمة في السن أي أن هؤلاء الجاثة الذين يدرسون النفس دراسة مجهرية ...لكن الثابت للأسف أن الذهن التاريخي قد غاب عنهم...سخافة لبحوثهم في أصل الأخلاق وفصلها تظهر من الخطوة الأولى**"[2].

وينطلق نيتشه من طرح هذا التصور –الإنجليز– يحمل في طياته أسلوب التفكير الذي يرجع الأشياء والقيم إلى غير أصولها الحقيقية فيعطينا مثالا عن ذلك، أن أصل مفهوم الطيب عند الإنجليز مرتبط بمدى طيبوية فعل من الأفعال ومدى فائدته ومنفعته العامة حيث يتم نسيان

---

[1]– فريديريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، ص 21.

[2]– المصدر نفسه، ص 21.

هذا الأصل بمرور الوقت ويتم ربط مفهوم أو حكم "طيب" بذلك الفعل القائم على نكران الذات، لذا نجده –نيتشه– يعلق على هؤلاء قائلا: " **هذا الفخر ينبغي أن يحط من شأنه، وهذا التقييم ينبغي أن يحط من قيمته، فهل تحقق هذا الهدف؟ ...بالنسبة لي يبدو بوضوح قبل كل شيء أن هذه النظرية تحاول وتعتقد أنها اكتشفت بؤرة الأصل الحقيقية لمفهوم الطيب**"[1].

ويذهب نيتشه إلى نقيض هذا الاستدلال الذي قدمه هؤلاء لمفهوم الطيب إذ يرجع أصل قيمته إلى الشعور بالرفعة وسمو الروح وتقدير الذات، وذلك مقابل كل ما هو حقير وخسيس ودنيء "**فالحكم على فعل بأنه "طيب" لم يصدر بتاتا على أولئك الذين أغدق عليهم هذا الفعل ! بل إن "الطيبين" أنفسهم، أي البشر الأقوياء ذوي المكانة الرفيعة والسمو، أولئك الذين هم أرفع وأرقى بموجب وضعهم وسمو أنفسهم، هم الذين اعتبروا أنفسهم "طيبين" وحكموا على أفعالهم بأنها "طيبة" أي أنها أفعال من الدرجة الأولى، فأوجدوا بذلك تسعيرة الأفعال هذه في مقابل كل ما هو منحط ودنيء ومبتذل وسوقي رعاعي**"[2].

وعليه إذن فإن الأقوياء هم من يمدون لأنفسهم الحق في خلق القيم وإبدائها غير مكترثين بما يمكن أن ينجر عن تصرفهم هذا من فائدة أو منفعة أو شيء آخر.

ولا يتوقف نيتشه عند هذا الحد، بل يعتبر الأقوياء هم الذين لديهم القدرة على تسمية "الطيب" كذلك، حيث يمكن إعتبار أصل اللغة في هذا المقام فعل سلطوي وحكر على الذين من لهم الغلبة والهيمنة (الأقوياء) " **وهم من انتحلوا لأنفسهم هذا الحق في خلق القيم وتحديدها، من علياء ذلك الشعور بالفوارق بينهم وبين الآخرين...وبوسعنا أن نعتبر أصل اللغة نفسه بمثابة فعل من أفعال السلطة صادر عن أولئك الذين لهم الغلبة والهيمنة**"[3] وبهذا يفند نيتشه فرضية فلاسفة الأخلاق الإنجليز عن أصل قيمة "الطيب" ويعتبرها فرضية لا يمكن الدفاع عنها

---

[1]– فريديريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها ، ص 22.

[2]– المصدر نفسه، ص ص 22–23.

[3]– المصدر نفسه ، ص ص 22–23.

تاريخيا لأنها تشكو من تناقض، كما أنها انطلقت من فرضيات خاطئة وزائفة لا تجرؤ على الكشف عن المعنى الحقيقي الذي كانت الأخلاق تقوم عليه ولأنها في النهاية تعبر عن رعاعية الفكر الحديث إذ يقول: " **...فرعاعية الفكر الحديث المنشأ الإنجليزي، كانت قد برزت مرة أخرى في مسقط رأسها بكل عنف وبكل الذلاقة السفيهة**"[1]

يعتقد نيتشه أن المنهج الجينيالوجي الكفيل لفهم وتفسير المفاهيم والقيم الأخلاقية فهي تكشف وتنقب على ما يكمن وراء المعاني والتقويمات والأحكام القيمية (الأخلاقية).

تبين أن مفهوم "الطيب" لفظة كانت تطلق على النبلاء والأقوياء أين يتحدثون من موقع قوة ذلك لأن مفهوم "الطيب" يجد أصلحه في المعنى الذي يمنحه له القوي، أما مفهوم الخبيث، فلفظته كانت تطلق على المبتذلين والحثالة والرعاع.

إلى جانب ذلك فالمنهج الجينيالوجي يكشف عن المعاني التي تتضمنها كلمة سيء عند اليونان القدامى، وبالأخص عند الأرستقراطية اليونانية تستعملها أولا للدلالة على عامة الناس، ثم ثانيا:

للتمييز بين الطبقة الأرستقراطية وبين سواء الشعب، إذ أن معنى "سيء" من السوقي العادي البسيط إلى الخبيث المنحط والمسكين، وهكذا فإنها عند اليونان القدامى على وجه التحديد عند النبلاء يستعملونها إلى ما هو مبتذل ومنحط وخسيس.

لذا فالأقوياء عند نيتشه هم من لديهم الحق والشرعية في خلق القيم وتحديد معانيها فهو مفهوم من خلق هؤلاء الأقوياء الذين يعتبرهم نيتشه بالطيبين، الأخيار والنبلاء وهم من أطلقوا هذه التسمية على من يتواجد تحت سيطرتهم لذلك كان " **تحديد القيم في الأخلاق يعود إلى تأثير صنف الرجال المهيمنين، حيث يشعر هؤلاء بسعادة لا تضاهي عندما يخضعون ويمارسون قوتهم على من هم أسفلهم، صنف طبقة الرجال المسيطرة عليهم الذين مورس**

[1]– فريديريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها ، ص 25.

عليهم كل أنواع الهيمنة والسيطرة منهم الغلبة، العبيد يتحدد مفهوم الخير على أساس أنه تعبير لحالات الروح المرتفعة السامية...فالرجل النبيل ينفرد من خلال هذه الخصائص عن باقي الكائنات التي يحتقرها (العبيد)"[1].

وبهذا يحدد نيتشه مفهوم القيمة الأخلاقية وتمظهراتها عبر التاريخ الإنساني يقول في مؤلفه "ما وراء الخير والشر": " **أثناء الرحلات التي قمت بها بين العديد من النظم الأخلاقية التي سادت العالم ولا تزال تسوده حتى الآن، ومنها اللطيفة والخشنة وجدت سمات ومؤشرات تعبر عن علاقة لنمطين من الأخلاق فهي سمات قد لاحظت عودتها بصفة مستمرة ودائمة وهي سمات تتقارب فيما بينها وتدل على نوعين من الأخلاق وتوصلت في النهاية إلى أن هناك تمييز أساسي بين هذين الصنفين أخلاق السادة وأخلاق العبيد"**[2].

يميز إذن نيتشه من منظور هذا النص نوعين من الأخلاق التي سادت على وجه الأرض بين لأخلاق السادة وأخلاق العبيد، هذا ويعتقد نيتشه أن هناك فرق شاسع في التقويم بين هذين النوعين من الأخلاق، فالواحد منهما (أخلاق السادة) يستند إلى إرادة القوة والتقويم الآخر (أخلاق العبيد) يستند إلى إرتكاس في التقويم، ورد فعل لذلك نجد يضفي على الأخلاق السادة طابع القوة والخلق والإسراف في تحديد القيم ، وطابع البؤس والضعف على أخلاقية العبيد، فأخلاق السادة تعبر عن روح القوة التي يستشعرها المرء في ذاته، والتي تتلاءم تلك النفوس الزاخرة التي تشعر بأنها مانحة القيم وخالقتها"[3].

فهم (السادة) يشعرون بالسعادة ويزدادون عزما وقوة، كما أنهم لا يعترفون بالحدود والتقيدات التي تضعها ألواح القيم القديمة، فهي تخترقها لأنها حرة وخلاقة لقيم جديدة، لدلك نجدهم "يتمتعون كل التمتع بالانعتاق من كل قيد اجتماعي...يتحولون من جديد إلى وحوش

---

[1]–Freidrich Nietzsche, par de la le bien et le mal, p p 324–325.

[2] – I bid, p 324.

[3]– فؤاد زكريا، نيتشه، ص 93.

فاخرة" فهم الأقوياء على أنواعهم من عظماء ونبلاء، وأرستقراطيون، وطامحين، وعنيفين، وقساة والمحاربون، المستبدون، وهم خالقي ومبدعي القيم[1] أما فيما يخص العبيد أو القطيع كما يسميها نيتشه فهي ناتجة عن ضعف وعجز وتقهقر الغرائز، فهي نتاج الانحطاط والخشوع وفقدان للقوة لذا فهم يعبرون عن طبقة "**الشعب أو العبيد، أو الرعاع أو القطيع...**"[2] إن قيم العبيد وتقويماتها الأخلاقية لا ترتكز على دعائم إرادة القوة، بل هي رد فعل مضاد لقيم السادة بعد أن مارس هؤلاء عليهم كل أنواع الهيمنة والتسلط والقمع وكانت القيم التي وضعوها ناتجة عن الشعور بالعجز ثم الحقد العنيف والدفين على الأقوياء الأرستقراطيين النبلاء، لذلك " **يبتدئ تمرد العبيد في الأخلاق عندما يصبح الحقد نفسه خلاقا إلى حد توليد القيم: حقد هذه الكائنات التي تتعذر عليها الاستجابة الحقيقية**"[3] .

كما يمكننا القول أن أخلاقية القطيع هي أخلاق متنكرة لغرائز الحياة وهي نتيجة أيضا للثورة التي أعلنتها ضد الثقافة القديمة المرحلة ما قبل السقراطية لذلك كانت قيمهم تعبير عن كل ما هو عدمي، مناف ومناقض للوجود الإنساني لذا يسميهم نيتشه "**أبطال غرائز الإذلال والبغض هؤلاء ورثة كل ولد من أجل الاستعباد في أوروبا وغيرها هذه الحثالات...هم الذين يمثلون تقهقر البشرية وأدوات الحضارة، هؤلاء هم عار على البشر**"[4] وكما تمثل أخلاق العبيد عند نيتشه تلك الفلسفات المفارقة للوجود الإنساني بمعنى تلك النظم الأخلاقية القائمة على أسس نظرية وميتافيزيقية والتي عموما ما تناقض الطبيعة الإنسانية كما أنها أيضا قيم صادرة عن العجز والضعف وجب رفضها، إذ تعارض صيرورة وغرائز الوجود فهي قيم اخترعتها

[1]– يوحنا قمير، نيتشه النبي المتفوق، د ط، منشورات دار المشرق، بيروت،1986، ص 28.

[2]– نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، ص 31.

[3]– المصدر نفسه، ص 32.

[4]– فريديريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، ص 38.

الإنسانية مصابة بالمرض مكونة من ضعاف ورعاع وعبيد، فهي تتخفى وراء ستار قيمها المنحطة لتحمي نفسها من بطش الأقوياء.

وهذه الغريزة التي عنيتها أخلاقية القطيع والتي تكمن في إرادة القوة كأساس أولي لتحديد مفاهيم الخير والشر، السادة والعبيد، لذا فإن دعوة نيتشه واضحة وهي الكف عن الأخذ بعين الاعتبار، أثناء الحكم على سلوك ما التقويمات الأخلاقية التقليدية والمعروفة بألواح القيم القديمة عنده بمعنى قيم "الخير" و"الشر" المتوارثة وبالتالي وجب علينا الاعتبار للتقويمات الأخلاقية، التي تبني على ركائز إرادة القوة لا على الإرتكاس (رد الفعل)، كما وجب على هذه الأخلاق أن تعبر عن إرادة القوة وإرادة الخلق والإبداع في القيم، هذا الخلق الذي يعبر بدوره عن قيمة الفاعل المتحرر من قيود القيم الزائفة التي تناقض الجسد وغرائز الحياة، لذا يعتبر نيتشه أنه على الفلسفة البحث عن "**حل مشكلة التقييم، وعلى تحديد سلم القيم ومراتبها**"[1] والحل يكمن كما قلنا سابقا في جعل مبدأ إرادة القوة كأصل لجميع التقويمات الأخلاقية.

لذلك ينبغي على الإنسانية ألاّ تتجه بجهودها إلى رفع طبقة العوام والأكثرية من الشعب، بل وجب عليها النهوض بأقوى وأفضل الأفراد، وأن يكون هدفها هو تجسيد الإنسان الأعلى وليس الجنس البشري بأسره.

فالنتيجة العملية إذن لإرادة القوة كمبدأ جوهري لتحديد قيم الخير والشر كأساس لأخلاق القوة، هي أن تعمل الإنسانية جاهدة في خلق إنسان أسمى يأخذ على عاتقه هذه المهمة ألا وهي تحقيق أخلاق القوة كدواء يشفي الغرب من المرض والانحطاط الذي ينخر جسده.

[1]– فريديريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها ، ص 39.

المبحث الثالث: الإنسان الأعلى بوصفه خالقا للقيم

يهدف نيتشه بمشروعه الفلسفي إلى بناء فلسفة جديدة تقوم على مبدأ إرادة القوة وهذه المهمة لا يمكن أن تتحقق حسب نيتشه إلا بتجاوز الإنسان العادي، وإيجاد إنسان أعلى رمز السمو بالإنسانية والحياة والأرض.

فمن هو الإنسان الأعلى؟ وما هي أهم الصفات التي ينفرد بها عن غيره؟

تناولت العديد من الدراسات هذا المفهوم، وترى أن لفظ الإنسان الأعلى، ليس ابتكارا نيتشاويا خالصا، ذلك أن اللفظ استخدم مجازيا للدلالة على إنسان يمتلك قدرات روحية وبدنية تفوق ما لباقي البشر، وبهذا اتخذ صورا مختلفة، فهو إما زعيم سياسي مطلق متحرر من القيود الأخلاقية، وإما فنان عبقري أو ساحر مشعوذ، أو كبطل أسطوري، يظهر لفظ الإنسان الأعلى في كتابات لوسيان* في القرن الثاني للميلاد واتخذ مصطلح "Hyperanthropos " بمعنى الإنسان الأعلى، ونيتشه كعالم لغوي قد قرأ لوسيان وأشار إليه في أكثر من مناسبة، وفي اللغة الألمانية استخدم المصطلح لدى هنريك غوته ففي الجزء الأول من فاوست تحتقر النفس فاوست المخيف الذي سحرها فأطلق عليها لقب الإنسان الأعلى[1] فكلمة "الإنسان الأعلى" توحي بأن القضية عميقة عند نيتشه، وبالفعل فهي تشمل وتعني أكثر من التخلص من أولئك المنحطين الذين عرفتهم الحضارة، كما تعني وتشمل أكثر من مجرد التخلص من أولئك المنحطين الجبابرة الذين يزخر تاريخهم بالدم، إنها تعني الدعوة إلى الإنسان الذي "تحرر من المثل الميتافيزيقية وأصبح سيد نفسه، واكتسب بعد ما اتضح له أنه خالق قيمة، إمكانية وضع قيم جديدة واضحة المقصد والانتقال إلى مشروع قيمي جديد"[2]، لكن زرادشت بتباشير فلسفة الظهيرة هو أول من يعلن عن الإنسان الأعلى في مستهل خطابه قائلا "إنني آت إليكم بنبأ الإنسان المتفوق، فما

---

* – لوسيان Lucien (125–190) أحد المعلمين والفلاسفة السفسطائيين عرف بمؤلفاته النثرية الساحرة.

[1] – صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريديريك نيتشه، ص 139.

[2] – اويغن فنك، فلسفة نيتشه، ص 189.

الإنسان العادي إلا كائن يجب أن نفوقه فماذا أعدد للتفوق عليه"[1] ويشرح نيتشه مسألة التفوق فيرى أنها ممكنة لكن شرط أن يتخلى الإنسان على فرديته قائلا " لقد خلقت جميع الكائنات حتى الآن شيئا يتجاوزهما وتريدون أن تكونوا ارتداد هذه الموجة الكبيرة وأن تعودوا إلى الحيوان بدل أن تتجاوزوا الإنسان"[2].

وهذا يعني أن الإنسان الأعلى هو: "مشروع للقطيع، أي سيده وطاغيته، ومضطهده وإنسان يفرض قيمه وإرادته كالطين ويضحي بهم بلا تردد في سبيل تفوق"[3].

صفات الإنسان الأعلى: يحظى هذا الأخير في الفكر النيتشوي بمكانة تجعله في نفس الوقت يعلو على الصفات التي لا تتلاءم معه وهي:

1- **الإنسان الأعلى ليس إنسانا داروينيا:** يرى اويغن فنك أنه رغم اعتماد نيتشه على مفاهيم بيولوجية في أطروحة الإنسان الأعلى، إلا أن ذلك لا يتعدى فعل الاستعادة لأفكار شائعة يصوغ بها مشكلته وهو ناتج عن تأثره بروح عصره[4] بمعنى أنه ليس الإنسان الأعلى هو الإنسان الداروينى ذلك أنه:

أ- يؤمن بتلقائية تحقيق الإنسان الأعلى من خلال مجرى الحوادث الطبيعية وتحقيقه لا يعني إحداث طفرة فيزيولوجية تغير بنية الإنسان الحالي، بل تعني تحقيق مستويات لا نهائية من التطور السيكولوجي، لذا فالانتخاب عند نيتشه ليس كما تحدث عنه داروين، إنه اصطفاء لقوى الإثبات في الإنسان ومنهج تربوي لإرادة القوة الكامنة فينا كي تغدو مثبتة.[5]

---

[1]- فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 33.

[2]- المصدر نفسه، ص 35.

[3]- الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر، القيروان، 2005، ص 165.

[4]- اويغن فنك، فلسفة نيتشه، ص 78.

[5]- نور الدين الشابي، نيتشه ونقد الحداثة، دار المعرفة للنشر، القيروان، 2005، ص 373.

ب–إن إنسان دارون هدفه البقاء وهو مفهوم فقير إذا ما قارناه بمفهوم إرادة القوة فالإنسان الأعلى في فلسفة نيتشه يتغاضى عن الصراع من أجل البقاء، ويسعى دوما إلى القوة وإلى النهوض بالحياة.[1]

ج–وهي نقطة في غاية الأهمية مفادها أن الإنسان الداروينيي ينحدر من أصول قردية صاغه دارون على حساب كرامة الإنسان التي ينفرد بها عن سائر الكائنات وبهذا التصور جعله حيوان عار من قيمه، بينما أن إنسان نيتشه فهو رمز الانتصار وقوة الكلمة الإثباتية، وإنسان مفرط في إنسانيته.

2– أن الإنسان الأعلى ليس هو الإنسان الأخير:

ذلك أن الإنسان الأخير إنسان الحداثة الغربية، هو إنسان التقزز والقرف الأكبر من الأرض وهو أيضا لحظة من لحظات إلا اكتراث التي تفضل ألا تكون هناك قيم من أن توجد قيم مطلقة[2]. ويفضل أيضا عدم الإرادة على إرادة العدم فهو رجل العدمية السلبية التي أصابت الغرب، يؤمن بأن لاشيء يستحق الاهتمام في هذه الأرض ويوضح لنا زرادشت في الفصل الرابع في الفقرة المعنونة ب"النذير" مدى الاختلاف الموجود بينهما إذ لما انتفض من النوم بعد ليلة الغنى نشيد الثمالة على المتفوقين قائلا " لقد نهضت أنا أما هؤلاء الرجال الراقون فلا يزالون مستغرقون في نومهم، أيكون هؤلاء الرجال رفاقي الصادقين؟ لا ليسوا هم من أنتظر بين هذه الجبال"[3].

إن زرادشت ينتظر الإنسان الأعلى، صاحب الإرادة المثبتة والقوة الفاعلة الذي يقول نعم للضحك واللعب والرقص، مادام الضحك هو إثبات للحياة وحتى للألم في الحياة، ومادام اللعب

[1]– صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريديريك نيتشه، ص ص 203–204.

[2]– جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، ص 193.

[3]– فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 349.

إثبات للصدفة والرقص إثبات للصيرورة،[1] فالإنسان الأعلى عنده هو المشروع وهو القائل هكذا يجب أن تجري الأمور وتتقدم، فالإنسان النيتشوي هو الإنسان الذي تتحكم فيه معطيات هو صانعها، ولغته الإرادة، إنسان يضفي على الأشياء قيمتها ووجودها، فغاية نيتشه هي خلق إنسان متفوق، وهذا لا يتأتى إلا بإخراج الواقع الغربي من قوقعة العدمية السلبية.

ومعنى ذلك أن الإنسان الأخير هو إنسان العصر الحديث التائه في صحراء العدمية، لقد فقد سلبيته فهو الإنسان الذي لم يعد يؤمن بأي شيء زالذي انطفأت فيه الروح الإبداعية الخلاقة للقيم فهو إنسان حقير ومبتذل، ومتشائم حيث سئم من كل شيء بعد أن سقطت كل المطلقات التي كان يقدسها، فقد حماسه له في النهار لذاته اليسيرة، وفي الليل ذاته ولكنه يقدس الصحة.[2]

3- الإنسان الأعلى ليس إنسانا أخلاقيا:

هو إنسان فيما وراء مفاهيم الخير والشر، كما صاغتها العقيدة المسيحية والفلسفات المختلفة كالكانطية، إنه لا أخلاقي في نظر المتشبثين بالأخلاق الكلاسيكية بمقدار معارضته للألواح القديمة التي عمل الإنسان دوما على إيجادها والخضوع لها.

إن مفاهيم الخير والشر، الحق والباطل ستصبح لدى الإنسان الأعلى مجرد تقويمات سطحية عملت على الحط بمستوى الإنسانية، وبمستوى الإنسان الفرد من خلال رفع شعارات تعبر عن وجهة نظر الكم وحده، فنجده حسب نيتشه تنادي بالمساواة نحن جميعا متساوون وليس ثمة أناس أعلى من أناس، كما تنادي بأكبر سعادة لأكبر عدد ممكن من الناس.[3]

بينما تقوم أخلاقيات الإنسان الأعلى:

أ-على تجاوز مفاهيم الكم الشعبي النسوي وعلى إيجاد تركيبة جديدة تناهض دعاة الديمقراطية، التي تحث على انتصار القطيع، معنى ذلك أنها تسعى إلى الإعلاء من شأن الفرد وتقديمه

---

[1]- نور الدين الشابي، نيتشه ونقد الحداثة، ص 372.

[2]- أويغن فنك، فلسفة نيتشه، ص 74.

[3]- عبد الرحمان بدوي، نيتشه، ص 225.

على المجموع وعلى الكتل الجماهيرية فالفرد المبدع هو القوة المحركة، يقول نيتشه في جينيالوجيا الأخلاق " إن أنضج ثمرة من ثمار الشجرة هي الفرد المتميز، الفرد الذي لا يشبه إلا ذاته، الفرد المتحرر من أخلاقية العادات والتقاليد، الفرد المستقل والسوبر أخلاقي، الإنسان الذي يستطيع لأن يقطع عهدا وذلك الذي يمتلك في ذاته وعيا حقيقيا بالحرية والقدرة، وشعورا في النهاية، بأنه وصل إلى اكتمال الإنسان فيه"[1].

ب-إحداث تقويم أخلاقي جديد، عالم بمعايير إرادة القوة، وبالقدرة على التعهد والوفاء، الإنسان المتفوق " إن هو إلا ذلك اللهب، وذلك الجنون المتوهج"[2] إن الإنسان الأعلى هو إذن من سيحدد القيم أو التقويم الصحيح المتمثل في أخلاق السادة.

4-الإنسان الأعلى لا يهاب الموت والمخاطر:

إن الإنسان وحده هو الحيوان الوحيد لا يتعايش مع قابلية الموت كظاهرة تنفي وجلا المخاطرة الدائمة من أجودهن أما بقية الأنواع الحيوانية فهي تخضع لظاهرة، وتناسق إلى طالعه لا تحاول هزيمته، كما أن من صفات الإنسان الأعلى المخاطرة الدائمة من أجل قطف ثمرات الوجود يقول نيتشه " ما الإنسان الأعلى ألا حبل منصوب بين الحيوان والإنسان الأعلى، وهو الحبل المشدود فوق الهاوية"[3] و " وأن العبور للجهة المقابلة مخاطرة توفي البقاء وسط الطريق خطر، وفي الالتفات إلى الوراء، وفي كل تردد، وفي كل توقف خطر، إن الحياة محفوفة بالأخطار"[4]

---

[1]- فريديريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، ص 55.

[2]- فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 31.

[3]- المصدر نفسه، ص 35.

[4]- المصدر نفسه، ص ص 394-395.

معنى ذلك أنه سيهزم الموت كظاهرة تنفي وجوده، وهو الأمر الذي يؤدي إلى زوال الأديان التي تشكل المنبر الأهم للأخلاق، وتفقد مصداقيتها كما سيحرص مزدري الجسد ووعاظ الموت أو ذوبان السوق[1].

يؤكد نيتشه على لسان زرادشت أن الإنسان الأعلى كائن لم يظهر بعد وظهوره متصل بشروط عدة:

أ-تهيئة المساحة وتنقيتها لتساعد على ظهوره واستقباله، فبعد الحدث الأكبر وزوال ضم الإله وانكساف ظل أفلاطون يجب حسب زرادشت أن يعمل الإنسان على التحرر من كل الخرافات والمخاوف الدينية، ويكف عن الاعتقاد في الخطيئة الأصلية والخلاص وأن يقيم حواجز نهائية مع أولئك المتفوقين الارتكاسيين الذين شهدتهم الفترة التي تلت موت الإله.

الإنسان الأعلى لن يكون ممكنا إلا في حالة اكتمال عملية تغيير القيم، وهذا التغيير يفترض تحويل راديكالي في قلب إرادة القوة، حيث تزول قيم الضعف والهوان. وهذا كله المعبر عن اللحظة المتميزة، لحظة الازدراء العظيم أو زمن الظهيرة الكبرى، حيث يقف الإنسان أمام كل عقيدة هرمة موقف الضاحك والمزدري، يقول زرادشت "**أمرت بأن يهدموا كل قديم، وأن يقفوا أمام كل عقيدة هرمة ضاحكين مستهزئين بمعلميهم وقديسيهم وشعائرهم ومخلصي عالمهم أمرتهم بأن يهزؤوا من صرامة حكمائهم وحذرتهم من المفزعات السوداء المنصوبة على شجرة الحياة**"[2].

ب-العمل على إعادة هيكلة المنظومة السوسيولوجية للمجتمعات، وذلك بتصويب المناهج التربوية، وإضفاء دلالات جديدة على مفاهيم الصداقة، الحب والزواج وعلى مفاهيم أخرى مرتبطة بالجانب الأخلاقي.

---

[1]- صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريديريك نيتشه، ص 211.

[2]- فريديريك نيتشه،هكذا تكلم زرادشت، ص 35.

فقيمة الصداقة يؤكد نيتشه زوالها في مرحلة الانحطاط ، في حين أن الإغريق هم من رفعوا لواء هذه الفكرة قائلا " الإغريق الذين عرفوا جيدا معنى الصديق هم وحدهم من بين الشعوب من فتح نقاشا فلسفيا عميقا ومتشبعا حول الصداقة بحيث أنهم كانوا هم أول من رأى وآخر من رأى إلى حد الآن في الصديق مشكلة جديرة بأن تحل"[1] في حين أن نيتشه يدعو إلى التخلي عن المفهوم المسيحي للصداقة باعتباره ضيق الأفق لأنه في المقابل يدعو إلى محبة البعيد.

ويشرح نيتشه معنى الصداقة في مؤلفه "إنسان مفرط في إنسانيته" قائلا "ربما يأتي يوم الفرحة الذي يقول فيه كل واحد منا: أصدقاء ليس هناك أصدقاء، أعداء ليس هناك أعداء"[2]

ويؤكد نيتشه على هذا من خلال قوله على لسان زرادشت أن "من يطمح إلى اكتساب الصديق وجب عليه أن يستعد للكفاح من أجله، ولا يصلح للكفاح إلا من يمكنه أن يكون عدوا يجب على المرء أن يحترم عداه في صديقه إذ لا يمكن أن تقترب من قلب صديقك إلا حين تهاجمه وتحارب شخصيته"[3]

ذهب نيتشه إلى وجود نوعين من الحب أحدهما، حب عبودية يسلم ويعطي ذاته ويجعل منها مثالا ويخلدها والثاني حب مقدس يزدري ويحب، ويعيد تشكيل صورة المحبوب ويعلو بها.[4] فمفهوم الحب ذاته قد تعرض لإساءة الفهم وعلينا أن نميز بين حب العبودية الذي يخضع ويهب ذاته إلى الأشياء بمنظور مثالي ويخدع ذاته، وبين المقدس الذي يسمو بالحبيب.

بالإضافة إلى الزواج الذي يصنف نوعان منه: زواج المخلوقات والثاني هو زواج المبدعين الخالقين الأول هو زواج من يحسنون الفرار من ذواتهم، ومن رسالتهم في الحياة ومن

---

[1]– فريديريك نيتشه، إنسان مفرط في إنسانيته، ج 1، ص 170.

[2]– المصدر نفسه، ص ص 176–177.

[3]– فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص ص 81–82.

[4]– صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريديريك نيتشه، ص 231.

الوحدة والعزلة، والآخر هو الزواج بين المتفردين.[1] وهكذا يعرف نيتشه علاقة الرجل بالمرأة من خلال تعريفه للصداقة يقول زرادشت "هناك أشياء بعدت شقة الانفصال...بأكثر من انفراجهما بين الرجل والمرأة ومن ترى تمكن يوما من أن يدرك حقيقة تباعد أحدهما عن الآخر ومدى الشقة بينهما"[2]

[1]– صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريديريك نيتشه، ص 232.

[2]– فريديريك نيتشه،هكذا تكلم زرادشت، ص ص 216–217.

الفصل الثالث :

قيمة الفكر النيتشوي وامتداده

المباحث:

- قيمة الجينيالوجيا في النقد والتقويم الاخلاقي
- الانتقادات الموجة لأخلاق القوة عند نيتشه
- البعد النيتشوي في الفلسفة الغربية المعاصرة

المبحث الأول : قيمة الجنيالوجيا في النقد والتقويم الأخلاقي

يقول نيتشه في مؤلفه الفجر: "**سأحدثكم أيها الأصدقاء الصابرين عن الشيء الذي أبحث عنه هنا، في العمق سأكشف لكم عنه في هذه المقدمة الأخيرة التي أصبحت ببساطة أخر وداع...**"[1] ويضيف قائلا:" **لقد أخذت الغمار في مهمة لا يمكن لأي أحد أن يخوض فيها أو يحملها على عاتقه سأهبط إلى العمق(الأعماق)،سأخترق القاعدة ،سأبدأ في معاينة وتفحص ونسق ثقة قديمة وراسخة ،كنا نحن الفلاسفة كذلك اعتقدنا منذ ألفي سنة أنها أرض صلبة تعودنا البناء عليها وهذا على الرغم من أننا نلاحظ اليوم سقوطها وانهيارها ،لذلك سأبدأ بالتنقيب عن ثقتنا في الأخلاق ولكن ألا تفهمونني؟**"[2]

نفهم من هذا أن الشيء الذي أراد نيتشه الإفصاح عنه لمعاصريه هو نقده الجنيالوجي الذي يعتبره مناسبا لنقد وتقويض الأخلاق ،إذ حمل على عاتقه مهمة ليست بإمكان أحد أن يقوم بها، والمتمثلة كما قلنا في هدم القاعدة التي كان قد بنى عليها الفلاسفة أراءهم في الأخلاق هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعكس ما أورده نيتشه في قوله هذا إهتمامه بمبحث الأخلاق الذي كان عنوانا للعديد من مؤلفاته.

فالجينيالوجيا برأي نيتشه تسعى إلى رفض الأخلاق بمعناها التقليدي إذ يعتبرها مصدر المرض والانحطاط الذي عرفه الغرب في الفترة الحديثة ،كما يعتبرها المبرر الذي كانت تستخدمه القوى الإرتكاسية(الرعاع) لفرض هيمنتها على القوى الفاعلة الخلاقة للقيم.

لهذا استخدم نيتشه الجنيالوجيا بما هي استراتيجية في التساؤل وقلب القيم ومن يقف وراء تشكل وتحديد المفاهيم، لذا يقترح–نيتشه– النقد الجنيالوجي باعتباره "أسلوب يعمق السؤال حول الأصل التكويني للأشياء وللعقل وخلق المقولات ؟ هذه الطريقة التي تحقق النقد الحقيقي انه المنهج الجنيالوجي"[3] فالمنهج الجنيالوجي هو الذي يمنحنا فرصة الرجوع إلى

---

[1]- Freidrich Nietzsche Aurore، p13

[2]-Ibid ،p14

[3]– مديحة دبابي، ما بعد الحداثة، (خطابات الما بعد)، إشراف وتقديم علي عبودي المحمداوي، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2013، ص 160 .

أصل الأشياء ومصدرها ومن ثم اجتثاث الحقيقة وتجردها مما تحمله من ميتافيزيقا ترهق كاهلها، فنيتشه من خلال هذا المنهج أراد أن يضفي نوعا من الشفافية على خطابات الحداثة بإزاحة الستار على أقنعة الميتافيزيقا التي تحملها، وتجاوز الثنائيات كثنائية الحقيقة والوهم، الخيرة الشر، ومن ثم العمل على تحرير الإنسان من قبضة العدمية ومن هنا تكمن قيمة الجنيالوجيا في النقد الأخلاقي في رفض نيتشه لكل القيم الأخلاقية والتقليدية، والتي كانت تقوم إما على أساس عقلي فلسفي، أو على أساس لاهوتي وديني حيث وضع الأخلاق السقراطية والأفلاطونية والمسيحية وأخلاق الواجب عند كانط في كفة واحدة .إذ اعتبرها كلها تعبر عن المرض والانحطاط ولأنها كانت تقوم على مبادئ مناهضة لغرائز البشر، "و من المؤكد أن الأخلاق الفلسفية الموروثة عن المذاهب العقلية السائدة كانت توغل في التجريد واقتلاع الإنسان من التربة التي أنبتته في هذا العالم وإعانتها الأخلاق التقليدية في هذا السبيل، حتى الدعوات الأخلاقية تتنافس في خلق إنسان تجريدي يكاد يكون غريبا عنا تماما"[1].

كما تبدو قيمة الجنيالوجيا في النقد والتقويم الأخلاقي في انها أعادت الاعتبار للكائن والعالم الأرضي، حيث كشفت عنه الأصول الخفية التي انحدرت منها الاخلاق التقليدية والتي كان يعتبرها نيتشه سلاحا يستخدمه الضعاف والعبيد ضد الاقوياء، هذه الاخلاقية التي بنيت على اسس مثالية دينية وميتافيزيقية، كان من الواجب رفضها وتجاوزها لأنها تسعى إلى طمس حقيقة الوجود، وغرائز الحياة، أن نيتشه في نقده للأخلاق التقليدية يحارب كل ما يؤدي إلى انكار الحياة، واضعافها سواءً أكان ذلك نزعة فلسفية عقلية، أو نزعة دينية زاهدة، ولاشك ان هاتين النزعتين هما النزعتان الأساسيان في الاخلاق التقليدية[2]

وفضلا عن ذلك تتحدد قيمة النقد الذي وجهه نيتشه للأخلاق السائدة في تحريره من التصور المثالي المطلق بحيث كشف من خلال منهاجه الجنيالوجي على تباين الاخلاق واختلافها من مجتمع إلى أخر ، وعن اختلاف المعاني التي قد تتضمنها هذه القيم الاخلاقية

[1]– فؤاد زكريا، نيتشه، ص103.

[2]– يسري ابراهيم، فلسفة الأخلاق، فريديريك نيتشه، ص148.

كما بين أنه لا وجود لأية قاعدة عامة نحتكم اليها من اجل تشريع القيم وتقويم الاحكام الاخلاقية، فليست هناك مبادئ أخلاقية عامة وانما «**هناك انظمة اخلاقية مختلفة فحسب ذلك لان الخير والشر قيمتان يمكن ان تتضمنا محتويات متباينة، وقد يكون محتواهما في اخلاق معينة مضادة تماما لمحتواهما في اخلاق اخرى**»[1].لذلك كان من الضروري رفض كل قيم أخلاقية قائمة على دعائم مطلقة، بل وجب هدم كل قاعدة عامة يمكن أن تكون مرجعية شاملة لإبداع القيم لأنه بإمكانها أن تتحول إلى صنم يعبده الناس ويجعله حقيقة أحكامه، وتقويماته وحتى سلوكاته الأخلاقية.

تتجلى قيمة النقد النيتشوي للأخلاق بردها إلى إرادة القوة هو رد الاعتبار للإنسان بعدما ان صورته القيم التقليدية في صورة إنسان عاجز يركن إلى الراحة والكسل والشعور، حيث اصبح الإنسان في مشروع نيتشه الأخلاقي هو واضع القيم وخالقها بإرادة القوة، فهي التي تساعده على تطوير حياته وتقويمها واثرائها.

لذلك كان الإنسان عند نيتتشه "**يجسد المثل الأخلاقي الأعلى...فيعلو على الخير والشر معا، ويصبح خالقا للقيم ولمعتقدات العصر بأكملها، وإذا كانت الأخلاق التقليدية تعادي الحياة، فإن النزوح عليها هو السبيل إلى تحقيق أعظم قوة إنسانية**"[2]

كما ان الاخلاق القائمة على إرادة القوة اخلاق غير مضادة للطبيعة وغير متنكرة لغرائز الحياة التي كان نيتشه ينظر اليها على اساس قوة، هذه الاخيرة التي اصبحت كما راينا سابقا العنصر الفعال والمؤثر في كل التقويمات التي نقدمها للعالم ولقيم الخير والشر، فهي أداة استخدمها نيتشه للدلالة على اخلاق القوة المبدعة، حيث «**تستخدمها الحياة كي تعلو وتنمو ويصبح المقياس الموضوعي للقيمة هو القوة التي تعلو بقيمة الحياة** »[3].

---

[1]– فؤاد زكريا، نيتشه، ص ص 94–95 .

[2]– صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريديريك نيتشه، ص460.

[3] – المرجع نفسه، ص460.

وعليه يمكننا القول ان الاخلاق مع نيتشه اصبحت تعبر عن طموح الإنسان في الحياة ورغبته المتجددة في التحرر من كل قيد بإمكانه أن يعيق مسار مشروعه في خلق القيم.

وعلى هذا النحو يمكن إعتبار لا أخلاقية نيتشه بديل نسبي يفضي في النهاية إلى هدم كل محاولة لبناء صرح القيم على أسس ميتافيزيقية ،مثالية وطلقة، حيث يفتح المجال بنقده هذا للإنسان كي يكون هو خالق لقيمه وواضعها.

المبحث الثاني : الانتقادات الموجهة لأخلاق القوة عند نيتشه

وجهت العديد من الانتقادات إلى فلسفة نيتشه الاخلاقية على وجه التحديد والى موقفه الرافض للعقلانية على وجه العموم، وما الانتقادات القائمة على إرادة القوة التي سنوردها بعد حين الا نماذج اخترناها على سبيل المثال لا حصر من جملة الاعتراضات التي وجهت إلى فلسفته.

1- نقد اندريه كونت سبونفيل لإرادة القوة النيتشوية

لقد اكد اندريه كونت سبونفيل [*] ان نيتشه محطة أساسية يجب ان يقف عنده كل فيلسوف يود البحث في الفكر الفلسفي الغربي المعاصر إذ يقول «**لقد قرأت في الاشهر الاخيرة نيتشه ... فهناك عدة نقاط اتفق معه فيها : نقده للدين وللنزعة المثالية ولمبدأ حرية الاختيار، ولكل اخلاق مبدعة تعبر عن الوجود الإنساني ولا تبحث عن غايتها في عالم اخروي، وكذلك رفضه للعدمية ومادتيه شبه الكاملة ومطالبته بفلسفة تخدم الحياة** ...»[1] ونفهم من ذلك ان سبونفيل متفق ومخالف لنيتشه في الوقت نفسه ومن جملة النقاط الفلسفية التي يتفق فيها معه مثلا رفضه للعدمية ونقده للدين واخلاقه القائمة على إرادة القوة.

ويقف سبونفيل معارضا للمشروع النيتشوي القائم على مبدأ إرادة القوة الذي بموجبه تهدر كل القيم التقليدية، واحلال مكانها قيم تعبر عن الجرأة، والقوة والشجاعة التي يأخذها على عاتقه الإنسان الأعلى، حيث يعقب على هذا التصور قائلا «**لقد فكرت في الامر مليا ووضعته في النهاية بين قوسين افتخار نيتشه بقلب القيم كلها، وليس بالإمكان تقبل فكرة: الإنسان الأعلى وإرادة القوة**»[2]، ونفهم أن سبونفيل يرفض أن تقام القيم الاخلاقية على أساس القوة لأنه بإمكانها أن تتحول إلى قيم ظلامية تسعى إلى التقديس.

---

[*]- اندريه كونت سبونفيل André Conpte Sponifle (1952م) فيلسوف فرنسي معاصر مؤلفاته "حكمة الحادثتين" عام 1998م.

[1]- Alain Boyer , André Conte Sponifle et autres , pourquoi vous somme pas nietzschéen , C Edition grasset et fasquelle , France ? 1991 ? p7.

[2] - Ibid , p45.

2- نقد هيدغر

ليس هناك فكر أو فلسفة تخلو من النقد أو التقويم، ولكن فلسفة "نيتشه" لا تنطبق عليها هذه القاعدة فهي لا تحتاج إلى النقد أو التقويم، وليس لأنها تعلو على النقد أو انها خالية من المآخذ، بل مجرد أوهام لا تنتقد، فالفكر يخضع للنقد عند احتوائه على حد ادنى من العقل والمنطق، وهذا ما يفقه الفكر النيتشوي فهي أوهام وخيالات تنبض بالحقد والمقت لكل شيء في الوجود (الدين، الاخلاق، القيم، الإنسان)، وعلى الرغم من هذا الا انه قد وجه سهام نقده لمن سبقوه.

أمثال (كانط، هيجل، شوبنهاور)، فهو لم يخرج عن نطاق فكرهم، فهو لم يأت بالجديد بل كانت مجرد تخيلات نسحبها نتيجة لحقده الدقيق للدين المسيحي بالدرجة الاولى، وتليها القيم الاخلاقية السائدة التي كانت عنوانا للعدمية حسب نيتشه ويعتبر هيدغر* من بين النقاد الذين أدركوا حقيقة الفكر الأخلاقي النيتشوي من خلال آليات القراءة والتأويل، حيث نفصل إلى دليل انتماء نيتشه إلى تاريخ الميتافيزيقا الغربية "ميتافيزيقا إرادة القوة".

وأن فلسفة نيتشه تمثل نهاية الميتافيزيقا الغربية الحديثة ،حيث يقول: "**إن الشيء الخصوصي في الميتافيزيقا هو مبدأها القائم بفصل الكائن عن الكينونة أو التمييز بين الموجود والوجود وعليه فإن الشيء الذي يميز الميتافيزيقا ظاهرا في الخطوط الأساسية للميتافيزيقا النيتشويه ،فتفكير نيتشه بالدرجة الأولى تفكير ميتافيزيقي بمقتضى الفكر الغربي كله وذلك إنطلاقا من أفلاطون**" [1]

وإن فلسفة نيتشه، تبعا للتأويل الهيدغري الذي يجعل من مفهوم القيمة أساس تلك الفلسفة تضرب بجذورها في أرض الميتافيزيقا، لأنها ترتد في آخر المطاف إلى التأويل الميتافيزيقي الأصلي كما مارسه ووضع أسسه أفلاطون الذي اعتبر أن الفكرة هي نموذج

* مارتن هيدغر (Martin Heidegger) (1889م-1986م) فيلسوف الماني، وهو المؤسس الحقيقي للوجودية، ومن مؤلفاته الكينونة والزمان، الحقيقة والمنهج .

[1] -Martin، Heidegger، Nitzsch t2 trad، pier klossowsci، tome il france édit Grallimard 1971PP،202،203

وماهية للوجود ومقياس لكل الاشياء وهذه الفكرة الأفلاطونية ستتبلور في عصر النهضة مع ديكارت اذ ستتخذ صورة الادراك الواضح والمتميز (الكوجيتو) ومع ليبنتز تتخذ شكل التمثل إلى أن في فلسفة كانط على صورتها الناضجة والمتمثلة في شروط الامكان وبهذا التأويل اصبح الطريق حرا ومعبدا لتبلور مفهوم القيمة في الميتافيزيقا النيتشوية أي لتصبح الخاصية الأساسية للوجود والموجودات هي القيمة، أي إرادة القوة [1] يشير هيدغر إلى ان الميتافيزيقا متجذرة في الفكر الاخلاقي منذ سابقيه، وتم تداولها بأقنعة مختلفة فعند نيتشه تكمن في هيمنة مفهوم القيمة الذي يقوم على ميتافيزيقا إرادة القوة، وهكذا تكون الميتافيزيقا قد بلغت مداها.

"إن مفهوم القيمة* هو ما جعل الذاتية تبلغ في فلسفة نيتشه أوجها وتمامها بعد ان استنفذت –عقب المشروع الهيجلي– كل مكانتها، فاذا كانت الميتافيزيقا قد بلغت مع هيجل منهاها حين ارجعت أساس الحقيقة إلى العقل الكلي والى الذات المطلقة، فإنها مع ميتافيزيقا إرادة القوة قد بلغت نهايتها حين انقلب الأساس من العقل والذات أو الروح إلى الطبيعة ممثلة في الجسد واهوائه وقوى غرائزه أو إرادة القوة بما هي قيمة القيم، وهذا ما جعل الميتافيزيقا تستنفذ ماهيتها وامكاناتها مع فلسفة الذاتية المطلقة (الهيجلية)، ومع الميتافيزيقا إرادة القوة، وهذا ما جعلها تعيش نهايتها ليس بناء على قرار هيجلي أو نيتشوي بل بناء على قرار تاريخي ذلك لان الفكر في حقيقة الوجود مرغم ان يتجاوز الميتافيزيقا"[2]

فالبحث عن الأصل في ميتافيزيقا إرادة القوة جزء من السؤال عن ماهية القيمة وبالتالي عن ماهية الميتافيزيقا، ويلفتنا هيدغر إلى الربط الذي قام به نيتشه بين تأسيس القيم وإرادة القوة حين ان أصل الإنسان في القيم مرتبط برغبته وارادته الخاصة، حيث تشكل إرادة القوة أساس قلب القيم وصنع اخلاق جديدة، فاذا كانت القيمة حسبه وجهة نظر إلى ما تهدف

[1]– جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، ص72.

* القيمة (la valure) من ذوق وخير وجمال وتكون صفة عينية كامنة في طبيعة الأقوال (المعرفة) الأفعال (الأخلاق) الأشياء (الفنون)(أنظر ابراهيم مدكور المعجم الفلسفي ،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القاهرة،1986،ص151)

[2]– عبد السلام عبد العالي، أسس الفكر الفلسفي المعاصر، دار توبقال للنشر، 1991م، ص39.

يجيب نيتشه عن هذا التساؤل قائلا "وجهة نظر القيمة هي وجهة نظر شروط البقاء والنمو"[1]. معنى ذلك ان وجهة النظر هذه هي محرك الحياة قد تعيق يسرها أو تساعدها، فالقيمة في نظر نيتشه هي لإمكانية الحياة .

وهكذا يتمثل نيتشه في نظر هيدغر الميتافيزيقا بكيفية اخلاقية الشيء الذي يعني انه يقدمها كنسق من تقديرات القيم، بحيق كل تأويل للعالم هو بمثابة تأسيس لقيم معينة من اجل تنظيم العالم وتشكيله تبعا لإرادة القوة أي تبعا لتصور الإنسان [2]. فقد ادرك هيدغر من فحوى هذا حقيقة مفادها ان ميتافيزيقا إرادة القوة التي يقوم عليها نذهب (الإنسان الاعلى) تجعل من الإنسان مركزا للوجود ومقياسا مطلقا، وهذا ما عجزت عن تحقيقه الميتافيزيقا السابقة من افلاطون إلى هيجل اذن الشيء الذي جعل فلسفة نيتشه فلسفة ميتافيزيقية هو المكانة التي احتلتها القيمة داخل الفلسفة، لترتد في النهاية إلى الأسس التي وضعها افلاطون الذي اعتبر الفكرة هي أساس الوجود وماهيته، بالرغم من ادعاء نيتشه قلب الافلاطونية وبهذا تكون القيمة عند نيتشه معنى اخر يضاف للميتافيزيقا إلى جانب المفاهيم الاخرى (كالذات، الروح)[3].

كل هذا يدل على النزعة الإنسانية التي غطت الفكر النيتشوي الذي يتخذ من الذات مركزا للوجود والذي يتمثل في الإنسان الاعلى خالق القيم بالاعتماد على إرادة القوة كأساس.

بالإضافة تفسير هيدغر الإنسان الاعلى يلتمس في ذلك نوعا من الذاتية التي تغطي الفلسفة النيتشوية، ويؤكد أن فلسفة نيتشه تعبر عن الذاتية في الفلسفة التقليدية التي ترجع في اصولها إلى ديكارت، أما في العصور القديمة فترجع الذاتية إلى بروتاغوراس، وهي ذات نوع مختلف يقوم على نظرية الحق والوجود، وهي تختلف تماما عن الذاتية في العصور الحديثة،

[1]– محمد أندلسي، نيتشه ومهمة الفلسفة، ص89.

[2]– المرجع نفسه، ص71.

[3]– المرجع نفسه، ص ص 71–72.

والصلة التي تربط بينهما، تقوم على أن الإنسان في الحالتين مركز الحقيقة والوجود والقيمة.[1] معنى ذلك ان سمة الذاتية ليس بالأبداع النيتشوي الخالص وانما تقليد محض من سلفه، اتخذها كمبدأ منح من خلاله المركزية والعلو للإنسان .

"يرى هيدغر ان تاريخ الفلسفة الغربية من ديكارت إلى نيتشه يعبر عن تجل انطولوجي لميتافيزيقا الذاتية، ومن ثم للعدمية، وانم اهو ضمني وبسيط في فلسفة ديكارت يصبح معقدا صريحا في فلسفات ليبنتز وكانط وفيخته، وشلنبج وهيجل وتتمثل ذروة هذا النوع من الفلسفات عند نيتشه حيث يرتفع بالإرادة ليجعل منها مبدا ساميا لفهم كل شيء في ضوئه وعلى أساس من، ويعني بها إرادة القوة".[2]

ب- نقد علي حرب :

كانت غاية نيتشه الوصول إلى الإنسان الاعلى القائم على ميتافيزيقا إرادة القوة، ومن ثم العمل على خلق وابداع قيم اخلاقية عليا تناقض مكان سائدا ن أي ما كان يعتبره – نيتشه– عنوانا للانحطاط والعدمية، التي تنخر جسد الإنسان الغربي، الا ان الإنسان الاعلى لم يسلم من انتقادات الكثير منهم علي حربي* رغم "اعجابه بفلسفة نيتشه الذي اعاد للحياة قيمها وللأرض مجدها الضائع لم يخف قلقه من شعار الإنسان الاعلى الذي بشر به زرادشت فهو يرى به شكل من اشكال التوثن والتاله " [3]. فنيتشه بهذا المعنى قدس الإنسان واعلى من شانه اذ وضعه في درجة الاله، وهذا النوع من التاله يضفي نوعا من الطبقية على المجتمعات، وهذا ما لمسنا اثره في طبقتي السادة والعبيد في الفلسفة النيتشوية التي ترفض بدورها قيم المساواة ن وتتدد بالطبقية، ومن ثم منح القوة والسيطرة لطبقة السادة على

---

[1]– صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريديريك نيتشه، ص258.

[2]– المرجع نفسه، ص258.

*– علي حرب Ali Harbe 1968 مفكر لبناني ينخرط في الفلسفة النقدية ويوظف مكتسباتها المعرفية والمنهجية في اعماله من مؤلفاته (التأويل والحقيقة، مدخلات، الحب والفناء .

[3]–**جميل قاسم**، جريدة الحياة، يومية سعودية، العدد 15626، 2006، ص16.

العبيد مما يولد بدوره الحقد والكراهية بين الطبقات إلا أن نيتشه استخف بكل هذا وجعل من الإنسان مركز فكره ومفتاح فلسفته بإعطائه المجد والتاله.

"و في مقابل هذا عمل علي حرب مع العلم انه باحث من المدرسة التفكيكية منهجها النقد القائم على الاختلاف التفاضلي الجنيالوجي التكويني يستدخل الاختلاف التفاضلي إلى العقل بحثا عن اللامعقول اللامفكر فيه بإبعاده الدلالية والإشارية وفي ذات العقل والعاقلة من خلالها نقد النزعة العقلية والتمركزية، بالإضافة إلى انتمائه إلى التداولية التي يعرفها بالمداس الوجودي والعمل النقدي المتواصل والمزدوج على الذات لتقوية القناعة بتناهينا وتواضعنا الوجودي ".[1] يؤكد علي حرب من خلال منهجه النقدي على تواضع الإنسان ومن ثم نهايته الحتمية على عكس ما نادى به نيتشه وهو العود الابدي* الذي يمنح الإنسان المجد والتقديس "يطلعنا علي حرب بمفهوم جديد للإنسان وهو الإنسان الادنى في تفكيكه لمفهوم الإنسان واعادة بنائه، وهذا الإنسان برايه حلقة وسيطة ما بين القرد والإنسان وهو مفهوم غايته اعادة النظر بالأنسنة الخادعة المزيفة بغية التخلي عن المكابرة لكي نعترف –و القول للكاتب– باننا اعجز واجهل واهون واخبث واشر من ان نصف انفسنا بصفات السمو والطهر والعظمة والفضيلة والعلم". [2] وهكذا اظهر لنا جملة من الصفات السلبية التي تؤكد في نظره عجز وضعف الإنسان ووضاعة تحجب عنه في المقابل التمتع بقيم عليا كالسمو والرفعة والمعرفة التي يتمتع بها الإنسان الاعلى النيتشوي، القادر على الهدم والبناء ومن ثم خلق وابداع القيم العليا.

ومن خلال البديل الذي يقترحه علي حرب –الإنسان الادنى– يسعى إلى نقد المركزية البشرية وتحطيم مبدأ الواحدية والتفاضل بين الناس، اذن فالإنسان الذي يبشر به هو الإنسان

---

[1]– جميل قاسم ،جريدة الحياة، يومية سعودية، ص16.

*– العود الابدي Eternel Retour نظرية رواقية مأخوذة عن هرقليدس تقرر أن العالم لا ينفي بعد احتراقه، وانما يعود السنة الكبرى بعد آلاف السنين لما كان عليه من قبل، ويبدأ عالم جديد تمر به الاحداث السابقة عليه، اخذ بها نيتشه واعطاها مضمونا أخلاقيا (مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص 441.

[2]– جميل قاسم،جريدة الحياة، يومية سعودية، ص16 .

التداولي والذي يتقن الحوار والمشاركة ويتميز بعقل جديد ومفرداته هي التعدد والتنوع والتبادل والتواصل[1]. معنى ذلك ان علي حرب يؤكد على محدودية وهشاشة الإنسان الاعلى لأننا اقل قيمة مما نرى واكثر عجزا وجهلا لهذا يندد بالإنسان التداولي الذي ينبض بالتوأصل والحوار والمناقشة .

[1]–**جميل قاسم**، جريدة الحياة، يومية سعودية، ص16.

المبحث الثالث : البعد النيتشوي في الفلسفة الغربية المعاصرة .

أ- الفلسفة الوجودية (جون بول سارتر)

لقد كان لفلسفة نيتشه الاثر البالغ في الخطاب الفلسفي الغربي المعاصر، ولقد عبرت جملة من التيارات الفكرية عن هذا التأثير الذي مارسه نيتشه على افكارهم ومواقفهم ويمكننا حصر بعض هذه التأثيرات في النقاط الاتية : فمثلا، وكما سيأتي الذكر في الفلسفة الوجودية عند سارتر*.

ويعد اثر نيتشه في المدرسة الوجودية* احد مظاهر تأثيره المتعددة الذي اثار اهتمام الكثير من الباحثين والمفكرين " وكان تأثير نيتشه اعمق –دون شك– من تأثير كيركجورد ونحن لا نجد لديه نظرية وجودية، غير ان تأثير فكره فقد اخذ مجراه قبل ان تخرج مؤلفات كيركجورد من النسيان الذي وقعت فيه في النصف الثاني من القرن 19 من جهة، ومن جهة احرى كانت لهذا التأثير في معاصرينا درجة من القوة بلغت الحد الاقصى".[1]

فقد اخذت الوجودية جملة من المبادئ من الفكر النيتشوي، وسارت على نهجيها فهي تنطلق في فلسفتها ايضا من الإنسان، ونجد كاوفمان يؤكد على هذا التأثير من خلال سرد أهم أحداث المسرحيات التي عرضها كل من سارتر، وهيدغر ما هي إلا صدى لأفكار نيتشه، وكاوفمان "مسرحية الذباب" عند سارتر ورواية سقراط "السقوط" عند كامو كنموذجين واضحين يبرزان تأثير نيتشه في الفلسفة الوجودية ان تأثير نيتشه في مسرحية "الذباب" تأثير كبير، وفقرات قليلة من مسرحية سارتر تبين هذا التأثير، ففي المشهد الرابع من الفصل

---

* جون بول سارتر (Jean paul Sartre)(1905–1980) فيلسوف وأديب فرنسي ينتسب إلى المذهب الوجودي،من مؤلفاته الحقوق العائلية1973،الوضعية1976.

* – الوجودية Existententialisme مذهب يقوم على ابراز الوجود وخصائصه وجعله سابقا من الماهية فهو ينظر إلى الانسان على انه وجود لاماهية، ويؤمن بالحرية المطلقة من زعمائها هيدغر، سارتر، كيركجورد، (ابراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، ص211) .

[1] – ربحبيس جوليفيه، المذاهب الوجودية (من كيركجورد إلى جان بول سارتر)، تر، فؤاد كامل . د1، دار الآداب، بيروت، 1988، ص43.

الثاني يقول اورست لالكترا :«**هناك طريق آخر، انه طريقي يجب علي ان اهبط أتفهمني ؟ يجب ان اهبط بينكم**»

ويقول ايضا « **لنفترض انني اخذت على عاتقي كل جرائمهم ولنفترض انني اريد ان انال لقب** "**سارق الندم**" **والفني على نفسي ندمهم**» وهنا نجد صدى فقرات ثلاث مختلفة عند نيتشه : الفقرة الاولى يقول فيها :"هذا هو طريقي فاين طريقك ؟ هكذا اسأل أولئك الذين يسالوني عن الطريق لأنه لا يوجد طريق للجميع " والفقرة الثانية يقول فيها "يجب على إن اهبط إلى الأعماق كما فعلت انت في المساء حين ذهب وراء البحر حاملا نورك للعالم السفلي، أيها النجم الزاخر بالكنوز علي ان اتوارى كما يقول الإنسان الذي اريد ان اهبط" والفقرة الثالثة يقول فيها، "**لقد هبط الاله على الارض وحمل ذنوب كل البشر بلا عقاب، لان الذنوب اصبحت الاهية** "[1]. معنى ذلك ان السبل التي امتطاها الوجودية ماهي الا صدى نيتشوي ذيع صيته بين روادها منها الندم الذي تدور حوله مسرحية سارتر (الذباب) التي بناها على انقاض مسرحية (ذباب السوق) لنيتشه بالإضافة إلى فكرة الاخر التي تؤكد بدورها تأثر سارتر بنيتشه الذي يرفض الاخر ويحتقر قائلا " الجحيم هو الأخرون "هي صدى الفلسفة نيتشه الذي يقوله في كتابه بمعزل عن الخير والشر «**لا شيء يصيب بالغثيان اكثر من الآخرين**»[2]، فكل منهما يرفض الأخر ويصفه بالجحيم والعقبة التي تعيق حرية الإنسان، كما ان ماهية الإنسان ووجوده هي من ابرزت التأثر الواضح للوجود بين نيتشه يوضح هذا الدكتور –فؤاد زكريا– في مؤلفاته نيتشه وفي فهم نيتشه للإنسان ما يقر به من الوجود بين الكثير فمن اهم صفات التفكير الوجودي تجدد الوجود الإنساني، فليس للإنسان ماهية ثابتة بل أن ماهيته، وليست اية ماهية ثابتة تحدد مقدما ويكاد نيتشه يعبر عن هذه الفكرة ذاتها

[1]– يسري ابراهيم، فلسفة الاخلاق، ص302.

[2]– المرجع نفسه، ص304.

حين يصرح بأن الإنسان في محاولة دائمة لا تعرف الاستقرار، فهو لا يرضى بشيء ولا يقف عند حد[1] .

فالإنسان في نظر نيتشه صانع وجوده وهذا ما اشار اليه سارتر في قوله «الوجود سابق عن الماهية» فهذا ادى إلى تجديد الوجود الإنساني والذي يعبر عنه نيتشه بفكرة العود الابدي، ومن هنا هرف الإنسان في كتاب "زرادشت" بانه خالق ذاته، أي ان هذا النقص الأساسي هو مصدر حريته وهو الذي يمكنه من تجديد ذاته وخلقها على الدوام[2].

كما ان فكرة موت الاله من بين المعالم التي تؤكد التأثير النيتشوي في الوجودية فهيدغر يفسر هذه الفكرة في وجهها السلبي ن بانها لا تنصب على الاله المسيحي، ولا على آلهة الديان بوجه عام، بل ان المقصود بها هو " عالم ما فوق المحسوس " وعالم الميتافيزيقا والمثل بوجه عام[3]. فهذه الفكرة تعبر عند كل منهما عل الرفض التام للميتافيزيقا التقليدية والقضاء كليا على المثالية ن واعادة الاعتبار للإنسان واستحواذه على المركزية وهذا ما يفسر البعد الإنساني الذي شاع في الفلسفة النيتشوية وسرعان ما ولج في الفلسفة الوجودية.

ب-الجنيالوجيا كأركولوجيا عند ميشال فوكو :

يعد ميشال فوكو* من بين المفكرين المولعين بالفكر النيتشوي حتى اصبح الوريث الشرعي له ن حيث استقى منه اسلوب البحث والتنقيب عن المعرفة بما في ذلك النزعة الإنسانية التي لاحت بظلالها على الفكر الفلسفي فكتابه "نظام الاشياء" عنوانه الفرعي "علم اثار العلوم البشرية" ويعكس تماما الصورة النيتشوية للمعرفة بوضعها أساس المشروع البشري لإنتاج النظام من العماء والفوضى.

---

[1]- فؤاد زكريا، نوابع الفكر الغربي (نيتشه)، ط2، دار المعارف بمصر، دبس، ص43.

[2]- فؤاد زكريا، نيتشه، ص 44.

[3]- المرجع نفسه، ص45.

*- ميشال فوكو Michel . Foncault (1926م-1984م) فيلسوف فرنسي معاصر من مؤلفاته تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي 1961م، الكلمات والاشياء 1966م، اركيولوجيا المعرفة 1969م ...الخ.

" ولقد شدد فوكو على اسلوبنا الحالي في التعبير عن انفسنا اسلوب متناه ومحدود وقد وجدت هذه الفكرة اول تغير في ملاحظة عن الفلاسفة في كتابه «إنساني ... إنساني إلى اقصى حد»، فهم يتصورون الإنسان على نحو غامض على انه حقيقة ازلية يظل ثابتا وسط تدفق كل شيء وتغييره، وعلى انه مقياس الاشياء جميعا غير ان كل ما يقوله الفيلسوف عن الإنسان هو من حيث الأساس ليس اكثر من شهادة أو راي عن إنسان في فترة محدودة من الزمان"[1] ان هذه التصورات والآراء التي يعطيها الفلاسفة ما هي الا صورة الإنسان في الزمن أو العصر الذي عايشه ولعل نهاية النزعة الإنسانية ليست سوى نهاية احد اشكال النزعة الإنسانية وكاتبه حول الجنون يظهر بانه يبحث عن حقيقة الإنسان خارج أو بالحرى بعيدا عن القسمة القائمة بين العقل واللاعقل.

وهو لم ينف تحليلاته للحلم ان نيتشويته تكشف لنا عن حس مأساوي منبث في ثنايا كتاباته ولعله يؤكد انه يجب قتل الإنسان من اجل ايجاد الإنسان الاعلى لكن أي إنسان؟ هل ليس هذا الانذهال الذي نجد انفسنا دوما مقذوفين امامه علامة على ان هذه الإنسانية العليا هي بالأحرى المصدر الأصلي الذي يعيد الإنسان انطلاقا منه خلق إنسانيته باستمرار؟ [2] هو الآخر اخذ من الإنسان مركز فكره وقدسه ومنحه حق الخلق والتغير والاستمرارية.

لقد عمل فوكو على دراسة العلاقة بين المنشأ في التاريخ والفلسفة في مقاله :«نيتشه أصل النشأة ة التاريخ»، كما انه صرح بدعوة نيتشه له لدراسة التواريخ الاخرى التي هي الوقائع الغفل لحياتنا اليومية، وهذا ما لباه فوكو من خلال كتابه التواريخ المصغرة للجنون والشهوة الجنسية والعقاب «ان كتابه مثل هذه التواريخ يحتاج إلى انتهاك الحدود التقليدية للفكر واعادة تفكير جذرية لما تعنيه بالمعرفة وعلاقتها بالسياسية»[3] وان تواريخ فوكو التي استلهمها من نزعة نيتشه المناهضة للمثالية تسعى إلى تجنب اسقاط (المعنى) على التاريخ

[1]– لورانس جين وكيتي شين، اقدم لك نيتشه، تر،إمام عبد الفتاح إمام، دار الكتب المصرية ،القاهرة، ص168.

[2]– ميشال فوكو، نظام الخطاب، ت :محمد سيلا، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، 1984م، ص 80.

[3]– لورانس جين وكيتي شين، اقدم لك نيتشه، ص169.

وفي هذا الصدد حتى فكرة السبب باتت مشكوكا فيها مثل الفاعل من وراء الفعل، والفقرة الاخيرة المشهورة من كتابه نظام الاشياء: اركيولوجيا العلوم الإنسانية تؤكد هذه النقطة عندما تتحدث عن الإنسان –الفاعل– قد صار ممحيا "كوجه رسم على التراب عند حافة البحر" [1] بمعنى ان كل ما بقي مجرد آثار مادية فارغة المعنى ولا يوجد نظام أساسي للتاريخ أي كتابة التاريخ نفسه.

وقد طبق فوكو منهجه الاركيولوجي في " الكلمات والاشياء" لا على الجنون ولا على الطب بل على مجموع العلوم الإنسانية وفيه يتوصل إلى التحكم في المنهج، وفي انتظار مؤلف مخصص كليا للمنهجية فانه يوضح ما افترضه وهو ما يمكن ان ندعوه بنهاية النزعة الإنسانية هكذا يصبح تاريخ الافكار نوعا ما القراءة للمعاني الموضوعية، فالاركيولوجيا اذن هي دراسة البنية الضمنية للمعرفة (الابستيمية) الخاصة بعصر معين مثلما ما فعل نيتشه بالمنهج الجنيالوجي وماركسي بالبنية التحتية حيث كفا عن مواجهة نسق نسيق بل حفرا تحت السطح لفرز ما يمكن من التفسير[2]، فقد حاول فوكو من خلال منهجه البحث عن الأصل أو من الاصح الحفر حتى الوصول إلى الغاية أو المسعى الذي يستحق التفسير.

وقد استلهم فوكو المنهج الجنيالوجي النيتشوي من اعادة التقييم المستمر للماضي الجنيالوجي هي التاريخ المكتوب على ضوء الاهتمامات الحالية، الجنيالوجيا هي التاريخ المكتوب وفقا للالتزام بقضايا اللحظة الحاضرة، ومن حيث انه كذلك، فهو يتدخل في اللحظة الحاضرة، الجنيالوجيا باختصار هي "التاريخ الفعال" (نيتشه) مكتوبا باعتباره تداخلا راهنا.[3] فهذه الاخيرة –الجنيالوجيا– تعد الاداة التي تسمح للفلسفة بان تلتقي بالتاريخ بجعل الفلسفة تتخلى عن منطلقاتها الميتافيزيقية، والدفع بالتاريخ إلى ان يكون اهتماما بما يحدث فعلا في جميع مستوياته المختلفة، من هنا تظهر الجنيالوجيا وسيلة لتقويض الميتافيزيقا باعتبارها

[1]– جون ليشته، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا، تر، فاتن البستاني، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008م ،ص233.

[2]– ميشال فوكو، نظام الخطاب، ص74.

[3]– جون ليشته، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، ص235.

انتاجا للحقيقة، من خلال نقد لمنطلقاتها، واعادة النظر في الأساس المفاهيمي الذي تستند إلى الأزواج " ولعل اهمية البحث الجنيالوجي كتقويض لميتافيزيقا تظهر في وصفه للواقع الإنساني كواقع يتشكل من الصراعات والمصالح ومن ثمة الهيمنة والرغبة في التملك[1] فلا مجال للقفز على هذا الواقع من خلال انشاء مفاهيم مجردة تنشئ عالما ينوب عن العالم الوقعي علما تنتفي فيه الصراعات والمصالح " ولكن اهمية الجنيالوجيا عند فوكو تكمن في ابراز علاقة السلطة بالحقيقة وهذا ما استعاده فوكو من نيتشه وطبقه على موضوعات لم يكن تاريخ الفلسفة يجفل بها فلقد لاحظ فوكو وأن ما ندعوه حقيقة هو نتاج الصراع القوى ودخول قوة في علاقات مختلفة تتسم بالصراع ومن ثمة الهيمنة وبالسيطرة لان ما يسمى بالواقع يعج بالصراعات التي لا تنتهي[2]. لهذا من العبث اقامة تاريخ للحقيقة دون الاهتمام بصراع القوى فتنزع كل قوة إلى الهيمنة والسيطرة وبالتالي فان السلطة هي هيمنة وسيطرة قوة على اخرى وهذا ما يجعلها تأتي من كل مكان وتنتج بمجرد ما يقع هناك التقاء لقوة بأخرى اذ ان كل نقطة في الوقع قدارة على انتاج السلطة أي علاقة قوى بهذا يتحدث فوكو في سياق الفكر النيتشوي عن إرادة للحقيقة همها اقامة فصل جين ما يعابر حقيقة، وبين ما يعتبر خطأ ووهما.

لقد تمثل انجاز فوكو في توسيع وتوثيق الاهتمام المركزي عند نيتشه وهو إرادة القوة باعتبارها الأساس الاول للخطاب البشري ولا سيما خطاب المعرفة "لا تقع الحقيقة خارج السلطة فالحقيقة هي عن العالم :و هي تنتج بفضل القيود المتعددة وهي تؤدي إلى نتائج منتظمة عن السلطة فكل مجتمع له نظامه عن الحقيقة (سياسة العامة) عن الحقيقة اعني

[1]– ميشال فوكو، جنيالوجيا المعرفة، تر، أحمد السطاتي وعبد السلام بنعبد العالي، ط1، دار توبقال للنشر، 1988م، ص53.

[2]– المرجع نفسه، ص ص 54–55.

انواع الخطاب التي تضمرها وتجعلها تمل على انها حق.[1] فأهمية هذا تكمن في عدم اكتفاء فوكو بالقول ان هناك إرادة للحقيقة بل عمل على الكشف عنها في حفريات.

وهكذا فان فوكو وجه مطرقته ليس إلى تهديم الاصنام كما فعل نيتشه من قبل بل إلى أن يبرز استنادا إلى التاريخ واحداثه كيف تشكلت الهوية الغربية ونحن نعتقد ان هذا النقد للهوية الغربية الذي يهدف إلى تفكيكها والذي يمكن ان نلاحظ بدايته مع نيتشه يجد في فكر فوكو احدى محطاته البارزة فهو بذلك عمل على اظهار ما كان مهملا ومنسيا ومنه نجد يد التفكير الفلسفي بعد أن ارتفعت في بداية القرن صيحات منادية بنهاية الفلسفة وموت الميتافيزيقا.

هذه هي المنطقة التي حاول فوكو اقتحامها بتحليلاته الاثرية الاركيولوجية والاشتغال على الخطابات بالجفر في طبقاتها وتفكيكها وتعرية بداهاتها متجاوزا بذلك المقاربة الابستيمولوجية التي تعمل بثنائية الصح والخطأ أو العقلي وغير العقلي نحو ثنائية جديدة المفكر فيه وغير المفكر فيه كاشفا بذلك عما تمارسه الذات المفكرة فيما هي تفكر فيه ن من الصمت والجهل والنسيان وعما يستتر عليه العقل فيما يعقله ويستبدل عليه من ضروب الحمق والجنون واللامعقول.

[1]– جون ليتشه، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، ص170.

خاتمة

خاتمة:

من خلال معالجتي لإشكالية البحث وتحليل مختلف العناصر المتناولة تبلورت لدينا بعض النتائج أهمها:

أن القيم التقليدية السائدة التي ورثها الانسان الغربي ما هي الا مرحلة متقدمة من المرض والانحطاط وعاملا له اليد الكبر في الدعوة الى الفناء والانتحار والعدمية.

وفي مقابل هذا سعى نيتشه بفضل قراءته الجينيالوجية للقيم الاخلاقية الى تجاوز كل ما هو ميتافيزيقي يلغي الوجود الانساني، وكان كل من سقراط وكانط ونموذجان أوليان للانحطاط.

وهذا ما كان من الضروري محاربته عند نيتشه، لأن هذه القيم السائدة ماهي الا أفكار معادية للحياة تقضي على الانسان، وتحجب بذلك الجسد، ولتحريره من سجن الميتافيزيقا، والمطلق، لابد من هدم هذه الاصنام التي تقف عائقا يحول دون تحقيق الغايات، ومن ثم الاعلان عن موت الاله واستبدال لوحة القيم التقليدية بلوحة قيم تعبر عن روح الحياة التي اساسها ارادة القوة.

وهاته الاخيرة التي تشكل في الفكر النيتشوي كما رأينا في رحلة بحثنا السبيل الوحيد الذي يراه نيتشه مناسبا للخروج من رحم العدمية والمعيار الامثل لسن قيم جديدة تعبر عن القوة والخلق والابداع وارجاع نبض الحياة وهي السعادة واعادة الاعتبار للوجود الانساني، من خلال السعي الى خلق الانسان الاعلى، الذي قوامه ارادة القوة، فهي في نظره مطرقة هدامة وبناءة في الوقت ذاته، اي انها عملت على تحطيم القيم السائدة والبالية، وقطع كل دروب الميتافيزيقا، في مقابل هذا سن قيم عليا، يتولد عنها الانسان الارقى الذي شكل محور تفكيره وغايته، وتمتع هذا الاخير –الانسان العلى– بالقدرة على خلق قيم ذاته، والعلو على ذاته بذاته وهو بذلك يحارب من اجل غاية أسمى ويضحي بكل شيء مقابل العلو الذي يمكنه من تحديد القيم وتبنيها ومواجهة العصر بقيم سامية، وذلك يبسط ارادته على نطاق واسع ورفضه لكل ما هو تافه ودنيء.

وأكد على هذا نيتشه باعتماده المنهج الجنيالوجي كترسانة حربية تحمل في ثناياها معالم الهدم والبناء، لأصل ومسار القيم الاخلاقية، والكشف عن الصلة الوثيقة بين القيم الاخلاقية والانسان كونه خالقها.

وهذا مؤشر ايجابي على أن فلسفة نيتشه هي فلسفة العقل الحر خاصة فلسفة قلب القيم لتحرير الانسان من قبضة العدمية والميتافيزيقا، وكل ما هو متداول وسائد، فهي تحمل في ثناياها دعوة صريحة الى ايجاد قيم عليا الانسان صانعها ورادة القوة اساسها.

وعلى الرغم من رواج الفلسفة النيتشوية في الفكر الفلسفي على العموم الا انها لم تسلم من العديد من الانتقادات، خاصة شيوع الجانب الانساني، الذي خيم عليها، بالإضافة الى خلوها من البعد العقلي الذي يعتبره نيتشه عنوان الانحطاط، وواحد من اللوحات الميتافيزيقية عنده واهتمامه وتركيزه المبالغ في بالجسد اذ يزعم انه حرره من سجن الميتافيزيقا واسترجع بذلك انفاسه في سماء الفكر النيتشوي، حتى وأن كان نيتشه يحسب نفسه متعاليا عن الميتافيزيقا من خلال عمله الدؤوب على رفضها، ونبذها الا لنه يعتبر عند الكثير وأن لم نقل اغلب المفكرين عنوان الميتافيزيقا ذاتها.

علاوة على هذا كانت فلسفة نيتشه بوابة اتاحت للتفكير الفلسفي انطلاقة محفزة للتطلع الى افق جديدة يسمح بمعالجة مختلف الاشكاليات الفلسفية بوسائل متنوعة، وهذا ما مكنه من ايجاد التربة الخصبة لزرع مشروعه ارادة القوة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر بالعربية :

أولا: المصادر

أ-بالعربية:

1- فريديريك نيتشه، **اصل الاخلاق و فضلها**، تر، حسن قبيسي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،بيروت، 1981.

2- فريديريك نيتشه ، **العلم المرح**، تر، حسان بورقيبة و محمد الناجي، افريقيا للشرق، المغرب 1993

3- فريديريك نيتشه ، **فيما وراء الخير و الشر**، تر، جيزيلا فالور حجار، ط1، بيروت :غروب 1995 .

4- فريديريك نيتشه ، **افول الاصنام**، تر، محمد الناجي، ط1، افريقيا للشرق،، المغرب 1996.

5- فريديريك نيتشه ، **إنسان مفرط في إنسانيته**، تر، محمد الناجي، ج2، افريقيا للشرق، المغرب 2002.

6- فريديريك نيتشه ، **إنسان مفرط في إنسانية**، تر : محمد الناجي، ج1، افريقيا للشرق، المغرب2002 .

7- فريديريك نيتشه ، **هكذا تكلم زرادشت**، تر، محمد الناجي، افريقيا للشرق، المغرب 20016.

8- فريديريك نيتشه ، **إرادة القوة محاولة لقلب كل القيم**، تر، محمد الناجي، افريقيا للشرق، المغرب 2001.

ب-باللغة الاجنبية:

1- Freidrich nietzche،**la Génalogie de moral** , Tred Albert henri.Gallimard Paris, 1964.

2- Freidrich nietzche, **le gai savoir** trad, Pierre klassoski edition Gallmard , paris 1982.

3- Freidrich nietzche, **le cgrai sovoir** , alhomrisme ,lebrie generale de France 1993.

4- Freidrich nietzche, **l'antehrsit ,trad Ecric blodle** , Edition flaminarion , Paris ,1994.

5- Freidrich nietzche **Aurare** ,trad?, julien heriemr , lebarrie generale Française 1994.

6- Freidrich nietzche **la valonte de puisscence** , trad par hemri albert 10 ,edition paris mervvre ,de France.

7- Freidrich nietzche **Par de là le bien et le mal** , trad hemri albert paris : lebrairie génerale ,France Paris 2000.

ثانيا: المراجع

أ-بالعربية:

1- اندلسي (محمد)، **نيتشه و سياسة الفلسفة**، ط1، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 2006م

2- ابراهيم (يسرى)، **فلسفة الاخلاق فريديريك نيتشه**، ط1، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان ،2005.

3- الشابي (نور الدين)، **نيتشه و نقد الحداثة**، د.ط، دار المعرفة للنشر، القيروان 2005.

4- الشيخ (محمد)، **نقد الحداثة في فكر نيتشه**، ط1، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت ،2008.

5- بنعبد العالي (عبد السلام)، **أسس الفكر المعاصر**، دار توبقال للنشر، 1991.

6- بدوي (عبد الرحمان)، **نيتشه**، ط5، وكالة المطبوعات ،لكويت 1975

7- بلعقروز (عبد الرزاق)، **نيتشه و مهمة الفلسفة قلب تراتيب القيم**، ط1، دار العربية للعلوم، ناشرون، 2010.

8- بيطار (سالم)، **اغتراب الإنسان و حريته**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 2001.

9- جوليفيه (ربجيس)، **المذاهب الوجودية**، تر، فؤاد كامل، ط1، دار الأدب، بيروت، 1988.

10-جين (لورانس)، وشين (كيتي)، **نقدم لك نيتشه**، تر، امام ع الفتاح امام، دار الكتب المصرية، القاهرة 2002.

11-دبابي (مديحة)، **ما بعد الحداثة**، اشراف و تقديم : علي عبود المحمداوي، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائري 2013.

12-دولوز (جيل)، **نيتشه و الفلسفة**، تعريب اسامة الحاج، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت 1993.

13-زكريا (فؤاد)، **نيتشه**، ط3، مصر دار المعارف.

14-زكريا (فؤاد)، **نوابع الفكر الغربي (نيتشه)**، ط2، دار المعارف، مصر.

15- زيناتي (جورج)، **رحلات داخل الفلسفة الغربية**، ط1، دار المنخب العربي، بيروت 1989.

16- سوفرين (بييرهيبز)، **زرادشت نيتشه**، تر، أسامة الحاج، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت 1996.

17- عبد السلام علي جعفر (صفاء)، **محاولة جديدة لقرائة فريديريك نيتشه**، د.ط، دار المعرفة الجامعية، مصر 1999.

18- عويضة (كامل محمد)، **فريديريك نيتشه في فلسفة القوة**،دار الكتب العلمية، بيروت،. 1993.

19- عنيات (عبد الكريم)، **نيتشه و الاغريق اشكالية اصل الفلسفة**، ط1، بيروت : الدار العربية للعلوم، بيروت ،2010.

20- فنك (اويغن)، **فلسفة نيتشه**، تر الياس بدوي، دمشق منشورات وزارة الثقافة و الارشاد، 1974.

21- فوكو (ميشال)، **نظام الخطاب**، تر محمد سبيلا، ط1، دار التنوير للطباعة و النشر، 1984.

22- فوكو (ميشال)، **جنيالوجيا المعرفة**، تر محمد السطاني و عبد السلام بنعبد العالي، ط1، دار توبقال للنشر، 1988.

23- قمير (يوحنا)، **النبي المتفوق**، د.ط، بيروت، دار المشرق، بيروت،1986.

24- كانط (ايمانويل)، **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**، تر، عبد الغفار مكاوي، مراجعة عبد الرحمن بدوي، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980.

25- ليتشه (جون)، **خمسون مفكرا أساسيا معاصرا**، تر، فاتن السياني، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت2008.

26- ميمون (الربيع)، **نظرية القيم في الفكر المعاصر**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

27- مفرج (جمال)، **نيتشه الفيلسوف التائر**، د.ط، ، افريقا للشرق بيروت، 2003.

28- مونتي بيلو (بيير)، **نيتشه و إرادة القوة**، تر، جمال مفرج، ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم، ناشرون ،بيروت،2010.

ب- باللغة الأجنبية:

1- Jean Granier, **nietzshe que sais –je** ? p.u.f Paris 1994.

2- Sarah kafman , **nietzshe et la scéne philosophique**- France Unions géneral de edition paris 1979.

3-Arthum schapenhauer **le fondement de la morale** .trad A-burdeau Paris,1999

4-kunzumam Peter et autres , **ATlas de la philosophie** librairie General Française 1999

الموسوعات و المعاجم :

1- مدكور (ابراهيم)، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤن المطابع الاميرية، القاهرة، 1986م.

2- وهبة (مراد)، **المعجم الفلسفي**، ط5، دار قباء الحديثة، القاهرة 2007،

الجرائد :

1- جميل قاسم ،جريدة الحياة، **يومية سعودية**، العدد 15626 ،2006م.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
شكر عرفان	
مقدمة	
الفصل الأول **القراءة الجنيالوجية القيمية للتراث الفلسفي الأخلاقي**	
المبحث الأول: التعريف بالمنهج الجنيالوجي	
المبحث الثاني: جنيالوجيا الأخلاق عند نيتشه	
1- عند اليونان (سقراط و افلاطون)	
2-موقف نيتشه من قيم الديانة المسيحية	
3-موقف نيتشه من المشروع الأخلاقي الكانطي	
المبحث الثالث: الأخلاق النيتشوية بين القوة و السعادة	
الفصل الثاني **إرادة القوة و البديل الأخلاقي**	
المبحث الأول: موت الاله و حلول العدمية	
المبحث الثاني: إرادة القوة كمبدأ لتأسيس أخلاق جديدة	
1-من إرادة الحياة الى إرادة القوة	
2-من اجل أخلاق القوة	
المبحث الثالث: الانسان الاعلى بوصفه خالقا للقيم	
الفصل الثالث **قيمة الفكر النيتشوي و امتداداته**	
المبحث الأول: قيمة الجنيالوجيا في النقد و التقويم الأخلاقي	
المبحث الثاني: الانتقادات الموجهة ل القوة عند نيتشه	
1-نقد اندريه سبونفيل	
2-نقد مارتن هيدغر	
3-نقد على حرب	

المبحث الثالث: البعد النيتشوي في الفلسفة الغربية المعاصرة	
1-في الفلسفة الوجودية (جون بول سارتر)	
2-الجنيالوجيا كأركيولوجيا عند (ميشال فوكو)	
الخاتمة	
قائمة المصادر و المراجع	
الفهرس	